وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

رواية "تغريبة القافر" لزهران القاسمي

مقاربة فى الأنساق الثقافية.

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: نقد حديث و معاصر

إعداد الطالبتان:

مليانى شيماء

ذباح وفاء

إشراف الأستاذ:

زاوي محمد

السنة الجامعية :2024/2023


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير :

الحمد لله حمد كثيرا حتى يبلغ الحمد منتهاه و الصلاة و السلام على أشرف مخلوق أناره الله بنوره و اصطفاه.

كل الشكر الجزيل والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا والى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا.

ونتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ زاوي محمد الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله كل خير وله منا كل التقدير و الاحترام.

إهداء:

إلى أبي... إلى الجدار الذي أستند عليه في تعبي وحزني... إلى الكتف التي أضع عليها أثقالي واليد التي تُربت عليَّ في كل حين...إلى عزيزي وحبيبي الذي أحبه بقدر هذا العالم وأكثر، الوطن الذي أنتمي إليه والأرض التي تحتويني...إلى أغلاهم على قلبي وأقربهم إليّ...

إلى أمي... إلى من علمتني الأخلاق قبل الحروف...إلى الجسر الصاعد بي إلى الجنة ...إلى اليد الخفية التي أزالت عن طريقي الأشواك، ومن تحملت كل لحظة ألم مررت بها وساندتني عند ضعفي وحزني...أطال الله في عمرك..

إلى إخوتي... إلى ملهمي نجاحي من ساندوني بكل حب عند ضعفي...إلى قرة عيني من قاموا بتشجيعي دائما...ومن دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل...سارة...هارون...

إلى رفيقة خطوات النجاح...وشريكتي في هذا النجاح...بدءا من أول خطوة ...صديقتي شيماء...

إلى أصحاب الفضل العظيم...صديقات الرحلة والنجاح...إلى من وقفوا بجانبي كلما أوشكت أن أتعثر...**صديقاتي العزيزات...**

إلى نفسي الطموحة جدا لقد ظننت أنني لا أستطيع، ولكن من قال أنا لها نالها ولو أبت رغما عنها أتيت بها. وها أنا اليوم أكمل خطواتي برفق واليوم أكتب بحث تخرجي لمرحلة الماستر بعد أن قضيت وقتا طويلا أركض خوفا أن يفوتني شيء، فقد أدركت أنه لا يفوتني شيء قد كتبه الله لي، لقد كان حلما لا نظن دنوه لكن فضل الله كان عظيما رجوت كريما قد وثقت بصنعه وما كان من يرجو الكريم يخيب .

وفاء...

إهداء:

الحمد الله حبا وشكرا وامتنانا على البدء والختام.

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون لم يكن الحلم قريبا لا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات لكنني فعلتها فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات بفضله و كرمه.

أهدي تخرجي إلى من أحمل اسمه بكل فخر الذي كان دائما بجانبي ومساندا لي بلا حدود إلى من علمني أن الدنيا صراع وسلاحها العلم والمعرفة.

والدي حفظه الله

إلى المرأة التي جعلت مني فتاة طموحة وسهلت علي الصعاب بدعائها الخفي إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت لي في الليالي المظلمة.

أمي حفظها الله

إلى خيرة أيامي وصفوتها كانو لي سندا وداعمين ومشجعين دائما .

إخوتي.

إلى من علمني النجاح والصبر . . الى من يضيء لي الطريق بوجوده.

إلى أجمل إنسانة عرفتها،إلى الاستثنائية،الفريدة والمختلفة ، إلى صديقة عمري ودربي وفاء.

إلى روح كل من فقدنا وكانت أمانيهم رؤية يوم تخرجنا .

وأخيرا أريد أن أشكر نفسي على كل المجهودات الجبارة التي قمت بها منذ بداية مشواري الدراسي.

شيماء...

مقدمة

الأدب هو فن التعبير عن الأفكار والمشاعر من خلال اللغة، سواءً كانت كتابية أو شفهية، بشكل يهدف إلى إثراء الخيال وتعميق فهم الحياة والإنسان.يشمل الأدب مختلف الأشكال الفنية مثل الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرحية، ويعتمد على استخدام الأساليب اللغوية والأدوات الأدبية لتحقيق تأثير جمالي وعاطفي على المتلقي.كما يمكن تعريفه أيضا بأنه نتاج فكري يعكس ثقافة المجتمع وقيمه وتجاربه عبر الزمن،إذ يتنوع الأدب في أشكاله وأغراضه فمنه ما يسعى للتسلية والترفيه، ومنه ما يهدف إلى النقد الاجتماعي أو الفلسفي، أو التأمل في الطبيعة البشرية.فهو يُعد مرآةً للمجتمع ، يلتقط التغيرات والتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية، ويقدم رؤية نقدية فاحصة لها ، كما يساهم في الحفاظ على التراث الثقافي ونقله عبر الأجيال، مما يُعزز الهوية الجماعية والانتماء.

للأدب دور كبير في عكس الأنساق الثقافية في المجتمعات، فهو يصور قيم ومعتقدات الشعوب ويساهم في نشر الوعي والتفاهم بين الثقافات المختلفة، كما يمكن أن يلعب دورا حيويا في تقوية التسامح والتعايش السلمي بين الناس من خلال تعريفهم بتجارب وثقافة الآخرين. كما يمكن للأدب أن يروي تجارب البشرية بشكل يلامس القلوب ويفتح العقول لفهم أعمق للآخرين وظروفهم، يساهم أيضا في إلهام الناس وتشكيل آرائهم وقيمهم، مما يؤثر في تطور المجتمعات وتغييرها نحو الأفضل.

تُعتبر الرواية من بين أكثر الأنواع الأدبية تميُّزا، فهي ليست مجرد سرد لأحداث الشخصيات فحسب، بل هي نافذة تفتح للقارئ آفاقا جديدة عن مجتمعات وثقافات مختلفة، وتمنحه فرصة فهم أعمق للواقع الاجتماعي والإنساني. يتمكن الكاتب من خلالها من تصوير تفاصيل الحياة اليومية والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما، مما يساهم في نقل تلك الثقافة إلى القراء من مختلف الخلفيات، يتيح هذا النقل

الثقافي للمتلقي رؤية العالم بعيون أخرى هذا من جهة. أما من جهة أخرى تمتلك الرواية القدرة على تجاوز الحدود الزمنية والجغرافية، مما يمكنها من استحضار تجارب ومعاناة المجتمعات في فترات مختلفة من التاريخ. بهذه الطريقة تصبح الرواية أداة حيوية لحفظ الذاكرة الجمعية ونقلها للأجيال القادمة، كما تعد وسيلة قوية لنقل الثقافات وتصورات المجتمعات، حيث تجمع بين السرد الأدبي والتوثيق الثقافي، وتفتح آفاقا جديدة للفهم والتفاعل الإنساني.

تحتل الرواية العمانية مكانة و أهمية كبيرة بين الروايات العربية، وإذا بحثنا في الرواية العمانية نلحظ أن هنالك تنوعا كبيرا في النصوص رغم حداثة التجربة الروائية ،فعمر هذه التجربة الأدبية من عمر النهضة العمانية، و على الرغم من قلة التجربة الروائية في عمان إلا أن "زهران القاسمي" استطاع استرجاع مكانة الرواية العمانية وذلك من خلال روايته "تغريبة القافر"، و من هنا نحن نقدم مقاربة في الأنساق الثقافية داخل هذه الرواية التي حصلت على جائزة البوكر في طبعتها الـ 16 و ذلك لتميزها و نقلها للمجتمع العماني بصورة دقيقة. تشغل هذه الدراسة أهمية كبيرة ويرجع ذلك لعدة أسباب نذكر منها:

- اكتشاف الهوية الثقافية من خلال الكشف عن العادات والتقاليد والقيم التي تعبر عنها الرواية.
- "تغريبة القافر" هي عمل إبداعي يقدم تحليلا نقديا للأدب العماني المعاصر، مما يساهم في تطوير الدراسات الأدبية وتقديم نماذج تحليلية جديدة تساعد في فهم تطور هذا الأدب واتجاهاته.
- تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية يساعد على فهم التحولات التي يمر بها المجتمع العماني.
- تعزيز مكانة الأدب العماني في الساحة الأدبية العربية والعالمية.

- زيادة فهم الأدب كوسيلة للتعبير عن التجارب الإنسانية والثقافية عن طريق توضيح كيفية تفاعل الأدب مع الأنساق الثقافية المحيطة به.
- إثراء النقاش الأدبي عن طريق تقديم مواد جديدة للنقاش الأدبي حول كيفية تمثيل الثقافة والتقاليد في الأدب، مما يساهم في إثارة نقاشات مفيدة بين الأدباء والباحثين.

يرجع اختيارنا لهذا الموضوع للأسباب التالية:

ذاتية: وتتمثل في:

1) اهتمامنا بالأدب العماني ورغبتنا في استكشاف مميزاته والكتابة عنه.
2) فضولنا الكبير لفهم كيفية تعبير الأدب عن الثقافة العمانية، وكيفية تمثيل القيم والمعتقدات في الرواية.
3) سعينا إلى تقديم إسهام أكاديمي بسيط من خلال دراسة رواية لم تحظ بالتحليل الكافي.
4) نقص في الدراسات المتعمقة حول الأدب العماني، وخاصة التي تستخدم منهجية مقاربة الأنساق الثقافية.

الموضوعية: وتتمثل في:

1) التوثيق الأدبي للتاريخ الاجتماعي وذلك لاحتواء الرواية على عناصر توثيقية لحياة الناس وتاريخهم الاجتماعي، مما يجعل دراستها مهمة لفهم السياقات التاريخية والاجتماعية لعمان.
2) قلة الأعمال الأكاديمية التي تسلط الضوء على الأنساق الثقافية في الرواية العمانية.

ومن خلال ما سبق تظهر لنا وبوضوح إشكالية الموضوع المتمثلة في:

-**ماهي أهم الأنساق الثقافية التي تجلت في رواية "تغريبة القافر** ؟ وتتجلى لنا تحت هذه الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الثانوية:

- ما هي الرواية؟ وما الفرق بين الرواية العربية الجديدة والمعاصرة؟
- ما النسق؟ وما هي أقسامه؟
- فيم تكمن ماهية الموت والحياة؟ وما هي دلالتهما في الفكر الفلسفي؟
- هل يشغل عنصر الماء مكانة مهمة في الشرائع؟ وما دوره في السرد؟

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي الوصفي في تحليل ووصف الأحداث والشخصيات، المنهج التاريخي لتتبع تاريخ الرواية العمانية، المنهج السيميائي لدراسة العنوان والشخصيات. لقد اعتمدنا كل هذه المناهج متكئين على آليات أو إجراءات النقد الثقافي.

وللإجابة على هذه الإشكاليات، قسمنا بحثنا إلى{ مقدمة، مدخل تمهيدي نظري، أربع فصول تطبيقية، وخاتمة}.أما المدخل التمهيدي فقد تناولنا فيه: مفهوم الرواية لغة واصطلاحا، في الرواية العربية الجديدة والرواية المعاصرة، بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية، تناولنا في هذا العنصر مفاهيم النسق والثقافة والنسق الثقافي، أنواع النسق الثقافي، ولمحة حول الرواية العمانية.أما الفصل الأول فكان بعنوان"**ثنائية الموت والحياة**" والذي تناولنا فيه:ماهية الموت والحياة، دلالة الموت والحياة في الشرائع، فلسفة الموت والحياة، ثنائية الموت والحياة في الرواية.وأما الفصل الثاني ارتأينا تسميته ب"**بلاغة الماء**" تناولنا فيه:ماهية الماء، دلالة الماء في الشرائع، رمزية الماء في الأساطير، الماء في الفكر الفلسفي، بلاغة الماء في الرواية .

كما تناولنا فصلا ثالثا تحت عنوان"**انسيابية الأيديولوجيا بين ثنايا السرد**" حيث تطرقنا فيه إلى: ماهية الأيديولوجيا، اللهجة العمانية، توظيف التراث العماني والأساطير، ذاكرة الأفلاج، اللغة، السرد، الزمكانية في الرواية، البوكر. وقد تحدثنا في الفصل الرابع والذي عنوناه بـ"**جماليات التفاصيل الصغيرة**" عن : مركزية المرأة، رمزية الحب، التناص.أنهينا دراستنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

كما يجب أن ننوّه إلى وجود دراسات سابقة تناولت الأنساق الثقافية في الرواية العمانية، نذكر بعضا منها:

- كتاب"الرواية العمانية في ميزان النقد الثقافي:تفريق المنضود وتفكيك المفروض" الذي يعرض تحليلا معمقا للأنساق الثقافية من خلال تناول تاريخ ثورة ظفار وقصص الشخصيات المرتبطة بها مع التركيز على التغيرات الثقافية والاجتماعية التي شهدتها عمان خلال تلك الفترة.
- دراسة"سيميائية المكان في الرواية العمانية" للروائي"علي المعمري" تتناول أهمية المكان وعلاقته بالأنساق الثقافية في رواياته، كما تقدم تحليلا لأعمال المعمري وكيفية استخدامها للفضاء والمكان لتمثيل الهويات الثقافية والاجتماعية في عمان.

لقد أفادتنا في خطواتنا هذه مراجع ودراسات عديدة تراوحت بين قديمة وجديدة، منها:

- رواية تغريبة القافر للكاتب"زهران القاسمي".
- كتاب دليل المصطلحات الثقافية والنقد الثقافي للدكتور "سمير الخليل".
- كتاب النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية لـ"عبد الله الغذامي".
- كتاب "المعجم الفلسفي لمصطلحات الفلسفة لــ"عبد المنعم الحنفي".

كما لا يخلو أيُّ بحث من العوائق والصعوبات، فقد واجهتنا عدة عقبات في طريقنا لإنجاز هذا البحث منها:

- كثرة المادة العلمية، وهذا ما صعب علينا ضبط وتحديد أغلب التعريفات والمفاهيم التي حوتها الدراسة.
- قلة المراجع النقدية التي تناولت الرواية العمانية، وهذا ما وضعنا في ضيق بسبب نقص الخيارات المتاحة.

- تنوع الأنساق الثقافية في الرواية: فالرواية تضمنت عددا هائلا من الأنساق الثقافية، مما يجعل من الصعب تغطية جميع هذه الأنساق بعمق وتحليلها بشكل شامل.
- صعوبة فهم السياق الثقافي والاجتماعي الذي كتب فيه هذا العمل الأدبي، مما تطلب منا الإلمام العميق بالتاريخ والثقافة العمانية.

وفي الأخير نأمل أننا وُفقنا ولو بالقليل في إنجاز هذا البحث، كما نتمنى أننا أجبنا عن بعض ما طرحناه من أسئلة، وأضفنا جهدا ولو يسيرا إلى جهود من سبقنا إلى موضوع الأنساق الثقافية في الرواية العمانية.

وفي ختام الكلام، نرغب بالتنويه بمساعي أستاذنا المشرف في مساعدته لنا على تجاوز عقبات البحث وبصبره معنا وعلينا.

مدخل تمهيدي

أولا :الرواية(Roman)

ثانيا: بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية

ثالثا: لمحة حول الرواية العمانية

. أولا :الرواية(Roman) :

يكاد الفن الروائي أن يكون الجنس الذي نافس جميع الأجناس الأدبية الأخرى من حيث المقروئية و الشهرة التي لقيها بين جمهور القراء بشكل عام،فقد اشتهر مقارنة بباقي الأجناس الأدبية من ناحية الكثرة و الانتشار و الازدهار، لما فيه من تعبير حي عن الواقع و عن الهوية الثقافية للأمم.

1.تعريف الرواية:

من الصعب إيجاد و ضبط تعريف دقيق و خاص بالرواية و يرجع ذلك إلى تداخلها مع الأجناس السردية الأخرى، فقط تطرّق العديد من الدارسين و الباحثين و النقاد إلى وضع مفهوم لها.

من بين التعاريف التي وُضعت لها أنها "جنس أدبي يشترك مع الأسطورةو الحكاية (...)في سرد أحداث معينة تمثل الواقع و تعكس مواقع إنسانية، و تصور ما بالعالم من لغة شاعرية،و تتخذ من اللغة النثرية تعبيرا لتصوير الشخصيات و الزمان و المكان ،و الحدث يكشف عن رؤية للعالم."[1]

وجاءت في كتاب"في الأدب العالمي، القصة، الرواية، والسيرة" بأنها "قصة مصنوعة مكتوبة بالنثر، يثير صاحبها اهتماما بتحليل العواطف و وصف الطباع وغرابة الواقع."[2]

---

[1] سمير سعيد حجازي:النقد العربي و أوهام رواد الحداثة , مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع ,ط1,القاهرة , مصر ,2005م,ص297.

[2] مصطفى الصافي الجويني:في الأدب العالمي ،القصة ،الرواية و السيرة ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،مصر،2002م،ص13.

ويُعرفها "عبد المالك أشهبون" في كتابه "الرواية العربية من التأسيس إلى آفاق النص المفتوح:"الرواية جنس أدبي عصي عن التعريف الجامع ،و محول في الزمان و المكان و مفتوح الإمداد على آفاق جمالية متعددة ."[1]

وردت تعريفات أخرى للرواية منها "الرواية جنس أدبي مستورد ببنيته و أنماطه ، و طريقته في تنظيم الزمن و الفضاء."[2] و أيضا :"رواية كلية ,شاملة،و موضوعية،أو ذاتية،تستعير معيارها من بيئة المجتمع،و تفتح مجالا لتتعايش فيها الأنواع و الأساليب".[3]

نستخلص من التعريفات السابقة أن الرواية هي فن نثري تعكس الواقع في طياتها ،تقوم على مجموعة من العناصر هي الأحداث، الشخصيات، الزمان و المكان،تتميز لانفتاحها عل مختلف الأنواع الأدبية الأخرى.

2.هوية الرواية و تطورها :

أ. عند الغرب :

لقد شهدت الساحة الأدبية الغربية جدلا واسعا في تحديد زمن ظهور الرواية، فمن الباحثين من نسبالرواية إلى العصر الإغريقي، مدرجين فيها الروايات اليونانية القديمة ، و منهم من جعل لها بدايتين الأولى للرواية اليونانية في القرنين الأولوالثاني و الثانية للرواية الحديثة في القرن السادس عشر. و يبدو أن البداية الفعلية لظهورها كجنس أدبي مستقل بذاته كانت في القرن الثاني عشر في فرنسا "فالرواية من حيث هي جنس حديث

---

[1]عبد المالك أشهبون :الرواية العربية من التأسيس إلى آفاق النص المفتوح،مطبعة آنفوبرانت،فاس ،المغرب.م2007ص6.

[2]عبد الكريم الخطيبي :الرواية المغربية، تر:محمد برادة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب،1972 ص19

[3]عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، تر:محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت، لبنان ، 1970،ص277.

(...)قد نشأت في الغرب و في فرنسا على وجه الخصوص."[1]لكن كان لبعض الباحثين آراء أخرى فمنهم من قال أنها ظهرت في القرن الثامن عشر مع سيادة البورجوازية ،و منهم من رأى أنها لم تظهر إلا مع "دون كيشوت" في القرن التاسع عشر.

ب. عند العرب:

لقد واكب ظهور الرواية عند العرب بداية عصر النهضة الحديثة، و ذلك لتأثرهم بالغرب،و "يعود فضل ظهور الرواية العربية إلى عاملين أساسين هما الصحافة والترجمة ، فقد نشر" سليم البستاني" في مجلة "الجنان" (...)روايات عديدة منذ عام 1870م منها (الهيام في جنان الشام, بذور, أسماء ...). و لتشجيع فن الرواية تم إنشاء العديد من المجلات منها المقتطف، الهلال، المشرق، التي ترجمت العديد من الروايات

الفرنسية.

-أما "جورجي زيدان" فقد استمد من التاريخ العربي الإسلامي رواياته التي بلغت إحدى و عشرين رواية، و عرف أيضا "فرح أنطوان" برواياته الاجتماعية وترجمته لبعض الروايات الفرنسية،وتلاه "نقولا حداد".و لهؤلاء الثلاثة يرجع الفضل في إرساء قواعد الفن الروائي في تلك الفترة من عصر النهضة.

-أما في أمريكا الشمالية نمت بذور الرواية على يد جبران خليل جبران في (الأرواح المتمردة، العواطف،الأجنحة المتكسرة) 1908حتى 1913م.

-أما في مصر فقد أصدر "محمد حسين هيكل" رواية "زينب" عام 1914م و إن كان كتبها قبل هذا التاريخ حين كان في باريس.أصدر طه حسين في فترة ما بين الحربين

[1]الصادق قسومة :نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي،دار الجنوب للنشر ،ط1، تونس ،2004،ص84.

العالميتين روايات (أديب، شجرة البؤس، دعاء الكيروان) فقد لجأ إلى التحليل و التصوير الاجتماعيين في رسم شخصياته مما دفع بالرواية إلى الأمام.و نشر محمود تيمور روايته نداء المجهول سنة 1929م الذي استلهم موضوعاته من الروحانية الشرقية."[1]

من خلال تتبع التطور التاريخي للرواية العربية نلتمس وجود اتجاهين: الأول يرى أن الرواية العربية ما هي إلا امتداد للرواية الغربية أما الثاني فهو نقيض للرأي الأول فيرى أن الرواية العربية وليدة نفسها فهي متصلة بالتراث العربي كما تمثله السير الشعبية،و ما يدعم هذا الاتجاه هو اعتراف الغربيين بان الرواية نشأت عند العرب.

3.في الرواية العربية والرواية العربية المعاصرة:

تتحلى الرواية العربية بمجموعة من الملامح التي تميزها عن غيرها وهي :

أ.الطابع الشعبي:

واجه صعوبات عديدة لارتباطه بحياة الناس وتاريخهم وحضاراتهم، ينطلق من شخصيات بطولية عريقة في وجدان المجتمع العربي،تحمل صفات النبل والفروسية والجود والشجاعة(...)،مبتغاه إيجاد نموذج قدوة في المجتمع العربي.يعتمد أصحابه على مجموعة من الفنون والعلوم من بينها:علم التاريخ وعلم الأنساب،وفنون الشعر والتراسل والخطابة.

ب.الأسلوب القصصي:

يعتبر أهم وسيلة يستخدمها الروائيون لنقل قصصهم وأحداثهم إلى القرّاء بشكل ملموس وجذّاب.يتضّمن الأسلوب القصصي أربعة عناصر هي: السرد والحوار اللذّان يساعدان في تقديم الأحداث وتجسيد شخصيات الرواية . و الوصف والمناظرة اللذّان يعملان على إيصال تفاصيل الزمان والمكان والشخوص،إضافة إلى تقديم وجهات نظر مختلفة وتبادل

[1] ينظر: عزيزة مريدن: القصة و الرواية ، دار الفكر ، دمشق،سوريا ، الجزائر ،1980،ص76 77.

الحجج.يهدف الأسلوب القصصي إلى خلق جو من التشويق والتوتر لجذب القراء وجعلهم يتابعون الأحداث بشغف من خلال تطبيق الأساليب اللغوية الملائمة.

ج.الرمزية والأسطورة:

نعني بالرمزية استخدام رموز أو رموز مجازية للتعبير عن أفكار أو معاني أعمق،عادة ما تكون هذه الرموز كلمات أو أحداث أو شخصيات ترمز إلى معان أخرى.استخدم الكتّاب العرب الرموز للتعبير عن الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية.أما الأسطورة فهي قصة تروى عبر الأجيال وتحمل معاني أساسية،تشمل الشخصيات الخيالية والأحداث الخارقة للطبيعة.يمكن أن تكون الأسطورة مصدرا للإلهام للروائيين العرب لتسليط الضوء على قضايا حديثة.تعتبر قصة"**ألف ليلة وليلة**"أحد أشهر الأساطير في الأدب العربي.

د. تصوير الحياة المدنية والريفية:

يسعى الرواة العرب إلى تصوير الحياة المدنية والريفية في كتاباتهم بأسلوب متنوع ، فهم يتناولون تفاصيل الحياة اليومية والعادات والتقاليد في المدن والقرى، مما يساهم في إثراء السرد وتقديم صورة واقعية للمجتمعات العربية،إضافة إلى المساهمة في تعميق الشخصيات وتوجيه القراء نحو فهم أعمق للمجتمعات والبيئات التي يعيشون بها.

لقد شهدت الكتابة الأدبية العربية تحولا ثقافيا مرَّ بمراحل مسَّ التاريخ وتطور الرواية. وهو ما أشار إليه"إدوارد خراط" في كتابه المعنون ب"الحساسية الجديدة_مقالات في الظاهرة القصصية"حين قال:"الحساسية الفنية أنها شهدت في الأربعينيات ظهور العناصر الريادية في كل من الاتجاه الواقعي والاجتماعي، مما كانت له الغلبة في المشهد الأدبي المصري في الخمسينات،(...)أما في حقبة الستينات فقد شهدت أمالا عظيمة وتغيرات عميقة المدى في العلاقات الاجتماعية لعلها غير مسبوقة في التاريخ الحديث للمنطقة العربية ، أما في السبعينات والثمانينات فقد عرفت البلاد العربية سيادة القيم وانحصار

الأيديولوجيات والممارسات الاشتراكية، ومع هذا المجرى وضع مفهوم الواقع نفسه موضع السؤال."[1] ومن أهم العوامل التاريخية التي ساهمت في انعطاف مسار الكتابة الروائية العربية:

- هزيمة حزيران سنة 1967م حيث يرى شكري عزيز ماضي أن"الهزيمة ليست السبب الوحيد الذي يقف وراء غزارة الإنتاج الروائي العربي لكنها دون شك كانت عاملا أساسيا في هذا الصدد،إن لم تكن أهم العوامل."[2]
- "معظم الروائيين كانوا ينتمون إلى التنظيم السياسي واليساري في المشرق والمغرب.
- انهيار الأنظمة السائدة قبل الثورة، وبهذا تفتح وعي الروائي على ثورة 1952م.
- استفحال القمع والحكم الفردي، و غياب الحق والقانون والعدالة الاجتماعية."[3]

لقد أيقظت جميع هذه العوامل الحاجة إلى خطاب مغاير يحفز سنن البوح لاسترجاع وجود الذات التي همشّها الحكم الفردي،فالرواية العربية في بداياتها كانت عبارة عن تزاوج الرواية التاريخية مع التراث.

مع مرور الزمن تطورت الرواية العربية إلى أشكال جديدة وأساليب متنوعة، فقد أصبحت تعبر عن تجارب الحياة المعاصرة وتتناول مواضيع متنوعة بأسلوب مبتكر ومتجدد.ونتيجة لذلك اتخذت لها ملامح جديدة يمكن حصر بعضها فيما يأتي:

---

[1] إدوارد خراط ، الحساسية الجديدة_مقلات في الظاهرة القصصية ،دار الآداب، بيروت، لبنان ،1993،ص10.

[2] شكري عزيز ماضي:انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1،بيروت،لبنان،1978،ص9.

[3] عبد المالك أشهبون:الحساسية الجديدة في الرواية العربية–روايات إدوارد خراط نموذجا،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف،دار الأمان،ط1،الرباط،المغرب،2010،ص10.

- التهجين اللغوي:لقد أشارت"سامية إدريس" إلى مفهوم التهجين في قولها:"هو المزج بين لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد،إنه اللقاء في وحدة من هذا الملفوظ بين وعيين لغويين مختلفين، مفصولين بحقبة تاريخية بتباين اجتماعي أو بهما معا،ولا يتميز التركيب الهجين بخصائص شكلية محددة."[1] فالتهجين اللغوي هو دمج لغتين معا بحيث يحاول الراوي دمج لغته الخيالية مع لغة المجتمع ،وبهذا يهدف التهجين إلى حمل دلالات بين العالمين الخارجي والداخلي للرواية.
- **تشظي الشكل الروائي:** طورت الرواية المعاصرة آلياتها الفنية ،حيث طرحت الشخصيات والزمان والمكان والوصف بطريقة متجددة على عكس الرواية الكلاسيكية،لذلك يتجلى تشظي الشكل الروائي المعاصر في"استعمال لغة مقتصدة،وتجنب الوصف المطنب،وتوظيف التلميح والصمت،ودعوة المتلقي ضمنيا إلى إعادة تخييل النص(...)"[2].يمكن تمييز التجربة اللغوية انطلاقا من معاينة الأعمال الروائية المعاصرة المستندة على آليات جديدة لإنتاج شكل ما أو نص ما"وقد اشتركت هذه النصوص في تفجير خطية أو نسق السرد،ابتداء من تداخل أنواع الخطابات،وتراجع حدة الشخصية أي إهمال الشخصية المركزية والبطلة على عكس الرواية التقليدية التي كان أهم شخصية فيها البطل،وغياب العقدة والحل وأصبحت تقريبا نهاية الرواية الجديدة تبقى مفتوحة،وابتعاد اللغة عن الواقع،ذلك كله من أج جعل قارئ الرواية يتجه نحو الحلم والتخييل."[3]

---

[1] سامية إدريس:تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية–دراسة في علم اجتماع النص الأدبي ،منشورات ضفاف،منشورات الاختلاف،ط، 1،2015 ، ص57–58.

[2] محمد برادة:الرواية العربية ورهان التجديد،كتاب دبي الثقافية،يوزع مجانا مع المجلة،الإصدار 49،دار الصدى،ط1،مايو 2011،ص52.

[3] محمد كنتاوي ونسرين عطية:تطور وتحول الرواية العربية من التقليد إلى الحساسية الجديدة،مجلة آفاق علمية،المجلد13،العدد30،02–04–2021،جامعة أحمد دراية،أدرار ،الجزائر ،ص307.

- **نقد المحرمات[1]{الجنس والدين والسياسة}:**إن تداخل الخطابات وتعددها في الرواية المعاصرة أباح طرح الموضوع الديني والجنسي والسياسي في قضايا وطنيةوقومية،وإنتاج قراءة ثقافية يستفيد منها المجتمع بهدف البحث عن الحرية،على عكس الرواية الكلاسيكية التي اعتبرت هذه العناصر خطوطا حمراء لا يمكن تجاوزها.فقد أصبحت الرواية المعاصرة كتابة جديدة تعمل على تعرية الواقع وكشف المخبأ،وهذا ما يتوجب على القارئ كشفه من خلال قرائته فهو"لا يقرأ الشيء كما يقدم نفسه أو يعلن عن نفسه، بل كنظام أو قاعدة أو بناء أو ثقافة،لتبيان ما استُنفذ واستُهلك بين المقولات والأدوات،أو ما أمسى فاضحا ومعيبا من التصرفات والممارسات،أو ما بات تشبيحا وتعتيما من السلطات والمؤسسات"[2]
- **التفاعل النصي أو التناص:** التناص هو استحضار نصوص سابقة في نص جديد،ولقد حددت"جوليا كريستيفا"مفهومه في قولها:"إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات.وكل نص هو تشرُّب وتحويل لنصوص أخرى."[3]فقد تميَّزت الكتابات الروائية المعاصرة بميزة التفاعل النصي حيث عمدّ الرواة على استمداد المخزون الثقافي وإعادة صياغته من جديد في روايات جديدة، وهو ما أغنى التجربة الروائية وأكسبها صفة الجمالية،وأشبع العمل الإبداعي بالعديد من السياقات والأنساق الثقافية المختلفة.
- **تعدد الأنساق الثقافية في الرواية:** تعد الرواية العربية المعاصرة من أهم الأشكال الأدبية التي تعكس تعدد الثقافات والتجارب الإنسانية،تتنوع الأنساق الثقافية في الرواية وتظهر بوضوح في تمثلات الشخصيات والمواقف،وتختفي هذه الأنساق خلف

[1]لا نقصد بالمحرمات الحلال و الحرام في الدين إنما نقصد به المواضيع التي لا يتطرق لها الأدباء من باب الخوف

[2]فتحي البس:الفلسفة والثقافة والسياسة–كتابات مختارة، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط1،عمان،الأردن،2017،ص

[3]محمد فنطازي:التناص،مطبعة بن سالم،ط1،الأغواط،الجزائر،2010،ص44.

قناع الجمالية.فتعدد الأنساق يعتبر من أهم ملامح التطور الروائي العربي المعاصر الذي لم يظهر إلا بعد شيوع صيت النقد الثقافي"الذي شمل فك شفرات النصوص لأنواع عديدة، في نطاقات وسياقات مختلف: الكلمات والصور والأغراض والأعمال الأدبية،والطقوس الاجتماعية، فالدلالة الضمنية مصطلح مستخدم لوصف المعاني الثقافية." أي أن احتواء الرواية العربية المعاصرة على الأنساق الثقافية أضفى عليها طابعا جماليا فنيا بهندسة ثقافية.كما أنها تحمل في طياتها فهما أعمق للنفس البشرية ،وما تخفيه من مكنونات لا يستشعرها أي فن آخر "فقد بات الفن الروائي المعاصر يتقبل مختلف الأبنية ويتشرب مختلف الأنساق،فهي نجحت في اختراق العوالم الحداثية من خلال تطويرها لأدواتها الفنية وتطويعها لجماليات لغتها."ومن أبرز الأنساق الثقافية التي ظهرت في العملية الإبداعية المعاصرة:النسق الاجتماعي،والنسقالسياسي،والنسق الأيديولوجي،والنسق الديني،والنسق الفلسفي...وغيرها .

و يمكن تلخيص كل ما ذكرناه سابقا في الجدول الآتي :

نوع الفروق	الرواية العربية التقليدية	الرواية العربية المعاصرة
اللغةو الأسلوب	تستخدم اللغة العربية التقليدية و الأسلوب البلاغي الجميل .	تستخدم أسلوب أكثر واقعية و لغة بسيطة .
الموضوعات و المحتوى	تتناول قصص تاريخية و أسطورية خيالية	تركز على قضايا الحياة اليومية و التحديات الاجتماعية و النفسية
التوجه الفلسفي	تحمل رسائل فلسفية و أخلاقية .	تسعى إلى تقديم تجربة وجودية للقارئ.
التأثيرات الثقافية	تأثرت بالتراث العربي و الإسلامي.	تستوعب التأثيرات الغربية و العالمية.
التوجه السياسي و الاجتماعي	تعكس الواقع الاجتماعي و السياسي للمجتمعات العربية.	تتناول قضايا معاصرة مثل الهجرة و الهوية و التحولات الاجتماعية.

ثانيا: بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية:

مع نهاية القرن الماضي شهد النقد العربي المعاصر انفتاحا على مجموعة من التوجهات النقدية التي سعت إلى تجاوز المنجز البنيوي، لظهور مرحلة جديدة سميت بنقد ما بعد البنيوية. ومن أبرز النشاطات النقدية التي عرفها في تلك الفترة النقد الثقافي، الذي أخرج النقد العربي من ضياعه النقدي. يعتبر كتاب "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق

الثقافية العربية" لعبد الله الغذامي، أول دراسة عربية تبنت نظرية النقد الثقافي معتمدة على أدوات النقد الأدبي في تحقيق أهدافها المنهجية لا إلغاء له.

1.في مفهوم النسق:

أ.في المعاجم اللغوية: لم تغفل معاجمنا العربية عن وضع مفهوم كلمة(نسق) فقد جاء في:

-لسان العرب لابن المنظور أن النسق:" من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد ، عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفف. ابن سيده: نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء، وانتسق هو تناسق، والاسم النسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض(...)والتنسيق التنظيم، والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد."[1]

-وقد ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء وكلام نسق جاء على نظام واحد، قد عطف على بعضُه على بعض، وأصله قولهم: ثغر نسقٌ: إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية، وخرز نسق: منظم."[2]

أما في معجم الوسيط نجد:"نسق الشيء، نسقا: نظمه، يقال: نسق الدر ونسق كتبه ، والكلام: عطف بعضه على بعض، و النسق: ما كان على نظام واحد من كل شيء ."[3]

---

[1]ابن منظور:لسان العرب،المجلد06،تح:عبد الله الكبير،محمد أحمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي،دار المعارف،القاهرة،مصر،ص 4412.

[2]أبو الفارس أحمد بن زكريا كمعجم مقاييس اللغة،تح:عبد السلام هارون،دار إحياء الكتب،

[3]مجمع اللغة العربية ،معجم الوسيط،ص918-919.

من خلال هذه المفاهيم اللغوية نلاحظ أنها اشتركت في مفهوم واحد، فالنسق يعني التنسيق والتجميع، وتتابع الشيء على نظام واحد، يرتبط فيه السابق باللاحق.

ب.في المعنى الاصطلاحي:

لم يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعني اللغوي لمفهوم النسق الذي يحمل معنى النظام والترتيب والتجميع، ويتحدد مفهوم النسق انطلاقا من المدارس والمناهج النقدية التي ينتمي إليها.

لقد جاء في قول "فرديناند دي سوسير" رائد المدرسة اللسانية :"اللغة، في كل لحظة تقتضي أمرين متلازمين: نسقا أو نظاما قارا ثابتا ومتطورا معا."[1]فقد أولى أهمية كبيرة للغة على حساب النسق جامعا بينهما (اللغة والنسق) كمفهومين.

وللمفهومين رأي آخر في ذلك فقد زاوجوا بين مفهوم (النسق) و(البنية) معتقدين أن دور النسق هو نفسه دور البنية والذي يتمثل بين الجمع والتنظيم بين الوحدان الأدبية.

2.مفهوم الثقافة:

أ.في المعنى اللغوي:

"ثَقِف ثقفاً وثقافة،صار حاذقاً خفيفا فطنا،وثقَّفه تثقيفا سوّاه ، وهي تعني تثقيف الرمح، أي تسويته وتقويمه.وهي أيضا مصدر ثقف بالضم ككرم."[2]

[1]فرديناند دي سوسير:محاضرات في علم اللسان العام،تر:عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق،المغرب،2008،ص22.

[2]المرتضى الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس،دارالمعلمين،القاهرة ،مصرن1994،(51/6).

ويعرفها ابن منظور:"ثَقِفَ الشَّيْء ثَقْفاً وثِقَافاً وثُقُوفَةً:حَذَقَهُ.(...) وثَقُفَ الرَّجُلُ ثَقَافَةً أي صار حاذقا خفيفا مثل ضخُم فهو ضخم،ومنه المثاقفة."[1] تفيد مفردة (الثقافة) معان ملتعددة في اللغة مثل:الحذق والفطنة،وقوة الإدراك.

ب.في المعنى الاصطلاحي :

يتم تحديد مفهوم الثقافة من خلال الوظيفة التي تشكله في المجتمع، ويعتبر مفهوم الثقافة ملازما للعلوم الاجتماعية ،فقد أخذ هذا المفهوم تعريفات عديدة من الصعب الإلمام بها ومن أشهر هذه التعريفات نذكر:

ويعرفها "كلايد كلوكهون"[2] بأنها:"مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين،أي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها،أو الجزء الذي خلقه الإنسان في محيطه وهب التي تحدد الأساليب الحياتية،أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات ، إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات."[3]

أما "هوفستاد" فيرى أن الثقافة هي :"البرمجة الجماعية للعقل الذي يمكنه أن يميز أعضاء إحدى المجموعات البرية عن المجموعات الأخرى."[4]

---

[1]ابن منظور :لسان العرب،باب(ثقف)ص492.

[2]كلايد كلوكهون ،Clyde Kluckhon، هو عالم أنثروبولوجيا ،و منظر اجتماعي أمريكي، اشتهر بعمله الإنثروبولوجي طويل الأجل ،و إسهامه في تطوير الثقافة داخل الأنثروبولوجيا الأمريكية.

[3]نصر محمد عارف:الحضارة ،الثقافة،المدنية،دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،عمان،ط1994،2،ص27

[4]Hofstede,Geert&Gert Jan Hofstede,Cultureséorganizations:software of the mind,Mc Graw-Hill,Inc ,New York,2005,p4.

ومن جهة أخرى فقد حصر "سبرادلي" مفهومها في:"**أن** ثقافة المجتمع تتكون من كل ما يجب على الفرد أن يعرفه أويعتقده، بحيث يعمل بطريقة يقبلها أعضاء المجتمع(...)فالثقافة ليست ثقافة مادية فحسب، أي أنها لا تتكون من الأشياء **أو** الناس أو السلوك أو الانفعالات،وإنما هي تنظيم لهذه الأشياء في شخصية الإنسان، فهي ما يوجد في عقول الناس من أشكال لهذه الأشياء."[1]

نستخلص مما سبق أن مصطلح الثقافة يدل على الرقي الفكري والاجتماعي و الحضاري ،فهو يستعمل بصفة جماعية للإشارة إلى مجموعة من الاتجاهات أو المعتقدات والقيم التي تتناسب مع الظروف والبيئة المتغيرة.

3.النسق الثقافي:

غالبا ما يستعمل تعبير الأنساق الثقافية في حقل النقد الثقافي بصفته مفهوما إجرائيا،وقد قدم النقاد مفاهيم متعددة للنسق الثقافي منطلقين من توجهاتهم الفكرية المختلفة. فيرى "أحمد يوسف عبد الفتاح"أن"الأنساق الثقافية قوانين/تشريعات أرضية من صنع الإنسان في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله في الأديان،ووضعها الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة،وهي تعبر عن تصوير الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة. والأنساق الثقافية قابلة للتصور شأنها شأن كل عناصر الحياة."[2]ومنه نرى أنَّ النسق الثقافي هو وسيلة للتعبير عن فكر الإنسان ،ومرآة تعكس تصوراته وتوجهاته.

---

[1]Spradley James,Culture and CONGNATION.Chandle Publishing Company ,USA .1973 .P6-7.

[2]،.أحمديوسف عبد الفتاح:لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة،منشورات الاختلاف،دار العربية للعلوم،ط1،الجزائر –بيروت،2010،ص151.

ويعرفه الدكتور" سمير الخليل" في كتابه "دليل مصطلحات الدراسات الثقافية"بأنه:"النسق الثقافي هو نسق معرفي اجتماعي فكري يحمل كل ماتفرزه الثقافة في النص أو الخطاب وله حضور."[1]

يحاول "عبد الله الغذامي" من خلال مشروعه النقدي إعطاء مفهوم النسق الثقافي دلالة اصطلاحية خاصة بصفته ركن أساسي في بناء الخطاب النقدي، لذلك يكتسب قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة، فقد وضع الغذامي سماته وخصائصه متجاوزا تعريفه ، والتي تمثلت في:

أولا:"يتحدد النسق عبر وظيفته،وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث في وضع محدد ومقيد،وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر،ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر(...)

نقول–إذن– إن مواصفات الوظيفة النسقية هي:

أ:نسقان يحدثان معا في آن ،في نص واحد أو فيما هو بحكم النص الواحد.

ب: يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.

ج: لابد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا، بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتحرير أنساقها وإدامتها.

د: ولا بد أن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة ،ذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي."[2]

---

[1] سمير الخليل:دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي،غضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة،مراجعة و تعليق:سمير الشيخ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1971،ص294.

[2] عبد الله الغذامي:النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ط3،المركز الثقافي العربي،المملكة المغربية ،الدار البيضاء،لبنان بيروت،ص77–78.

ثانيا: "أن النسق الثقافي الذي توفرت فيه الشروط الأربع يمكن الكشف عنه وبيانه بالاستعانة بالدلالة النسقية المضمرة التي لا تلغي الدلالتين الصريحة والضمنية، با غنها ترى فيهما قناعا جماليا يتم عبره تمرير الأنساق الخفية التي يهدف النقد الثقافي على الكشف عنها."[1]

ثالثا: "والنسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافية، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال، و المهمّش مع المسّود."[2]

رابعا:"والنسق هنا ذو طبيعة سردية ، يتحرك في حبكة متقنة ن ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائمان ويستخدم أقنعة كثيرة أهمها–كما ذكرنا–قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة الوارفة."[3]

خامسا:"والأنساق الثقافية هذه أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما،وعلامتها في اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فتحت أي لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر الذي لابد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه،فالاستجابة السريعة والواسعة تنبئ عن محرك مضمر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية."[4]

---

[1] أحمد راشد إبراهيم راشد:مركزية النسق الثقافي في مشروع الغذامي النقدي بين النظرية والتطبيق،مجلة بحوث كلية الآداب،كلية دار العلوم،جامعة المنيا،ص81.

[2] عبد الله الغذامي:النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ص79.

[3] المرجع نفسه، ص79.

[4] المرجع السابق،ص79.

سادسا:"أن النسق الثقافي يمارس نوعا ما من الجبروت الرمزي وهذا الجبروت يقوم بدور المحرك الفاعل في ذهن المحرك الثقافي للأمة وهو المكون الخفي لذائقتها ولأنماط تفكيرها وصياغة أنساقها المهيمنة."[1]

سابعا: "بقي أن أشير إلى احتراز اصطلاحي حول شرط وجود نسقين متعارضين في نص واحد إذ أننا هنا لا نعني (النص) بمعناه الأول ، وغنما المقصود هو (الخطاب) أي نظام التعبير والإفصاح سواء كان في نص مفرد أو نص طويل مركب أو ملحمي،أو في مجموع إنتاج مؤلف ما أو في ظاهرة سلوكية أو اعتبارية .المهم هو وجود النسقين معا وفي حالة استصحاب لازمة."[2]

إن هذه السمات لها دور عظيم في تحديد دلالة ومركزية النسق الثقافي انطلاقا من تأثر "الغذامي" بتفكيكية "ديريدا"وأسسها ، خاصة الوظيفة النسقية التي ذكرناها سابقا. كما أن النسق الثقافي يقوم على ثلاث صفات مركزية هي:

- أن يكون مضمرا.
- أن يكون منغرسا منذ القديم أي تاريخيا.
- أنه يتحكم فينا عبر جبروته الرمزي الذِّي يكل الدلالة النسقية.

4.أنواع النسق الثقافي:

يتخذ النسق الثقافي تمظهرين في نصوص والخطابات الثقافية هما:النسق الظاهر المعلن والنسق المضمر الخفي.

أ.النسق المعلن الظاهر:

[1]أحمد راشد إبراهيم راشد:مركزية النسق الثقافي في مشروع الغذامي النقدي بين النظرية والتطبيق،ص82.

[2]عبد الله الغذامي:النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ص80.

- **لغة:**

ظهر:جاء في المعجم الوسيط:"ظهر الشيء – ظهورا تبيَّن وبرز بعد الخفاء ،وعلى الحائط ونحوه:عَلَاهُ وعلى الأمر .اطلَّع."وفي التنزيل العزيز:"إِنَّ هُم إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُم يَرْجُمُوكُم."[1] ولقد جاء في لسان العرب"الظاهر خلاف الباطن،ظَهَرَ يَظْهَرُ ظُهُوراً ،فهو ظَاهِرٌ وظَهِيرٌ."[2]

ب-اصطلاحا:

يقصد به "المعنى الظاهر والواضح للقارئ الذي يتناوله من الجانب اليسير والوسيط لها"فإن معرفة السياق وإدراكه عملية ضرورية لتذوق النص وتفسيره،(...)وكل عمل أدبي تختلف قيمته بناء على جنسه وسياقه."[3]

يمارس النسق داخل النص الأدبي لعبة التخفي والظهور،وتعتبر هذه اللعبة هي نقطة اهتمام النقد الثقافي"فكل نسق ظاهر يخفي نسقا مستترا وكامنا."[4]ولا نهتم كثيرا بالنسق الظاهر المضمر بقدر الاهتمام بالنسق الخفي الذي يحمله" فالظاهر يعلو القول في النص الثقافي،في حين يتوارى المضمر ويتراجع ليقبع في باطن النص."[5]

- **النسق المضمر:**

---

[1]مجمع اللغة العربية:معجم الوسيط،باب الظاء،ص571.

[2]ابن منظور لسان العرب،باب الظاء،ص2767[2]

[3]عبد الله الغذامي:الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية –قراءة نقدية لنموذج معاصر،ط4،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997،ص13.

[4]سالم سليليح:النسق المضمر وفعالية التأويلية في نظرية النقد الثقافي–قراءة في تجربة الغذامي،مجلة الإبراهيمي والعلوم الإنسانية،جامعة برج بوعريريج،المجلد 2،العدد2،جوان2021،ص222.274

[5]سحر كاظم:دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعرنمجلة جامعة بابل ،المجلدالعدد2014،2،

"يأتي مفهوم النسق المضمر في النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا ،والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة ونتوصل لهذه الهيمنة عبر التخفي أقنعة سميكة."[1]

ويعد النسق المضمر خطرا وتكمن خطورته في أنه كامن ،يمارس لغته بعيدا في هدوء دون رقيب،بل هو"جرثومة قديمة تنشط إذا ما وجدت الطقس الملائم."[2]

فالنسق المضمر مفهوم شديد الأهمية وهو الأساس لبناء هذه النظرية "يطمح النسق المضمر لتحقيق الهيمنة والسيطرة والاستدامة لكنه يعجز عن ذلك لوحده ، فيشغل طرفا آخر وهو الجانب الجمالي لما يلقاه من هذا الأخير من إعجاب وقبول،شأنه شأن الطفيلي الذي لا يعيش من دون مضيف."[3]

يمكننا أن نستنتج أن للنسق المضمر أهمية كبيرة في الممارسات النقدية الثقافية،كما "يمثل عنصرا أساسيا للتحول النظري والإجرائي من النقد الثقافي إلى نقد البعد الثقافي"من التغلغل غير الملحوظ وظل كامنا هناك في أعماق الخطابات وظل ينتقل ما بين اللغة والذهن البشري فاعلا أفعاله من دون رقيب نقدي"[4] فالأمر بقراءته وكشفه وطرح أسئلة لم تطرح حوله من قبل"[5]

---

[1] سمير الخليل:دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي–إضاءة توثيقية الثقافية المتداولة،ص293.

[2] حفناوي بلعلي:مدخل في نظرية انقد المقارن،الدار العربية للعلوم،منشورات دار الاختلاف،ط2007،1،الجزائر،ص50.

[3] بن زايد مختار،عقال فاطمة الزهراء:النسق المضمر طعن الجمال لإراقة القبح،مجلة قراءات،المجلد14،العدد01ن جامعة يحيى فارس–المدية،2023،ص283.

[4] عبد الله الغذامي:النقد الثقافي –قراءة في االأنساق الثقافية العربية،ص72.

[5] عائشة بومهراز:نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص الإبداعي،مجلة الناص،العدد9،كلية الآداب واللغات و العلوم الاجتماعية ،جامعة جيجل ،الجزائر،أفريل 2010م،ص90.

نستنتج مما ذكرنا أن النسق هو الركيزة الأساسية في نظرية النقد الثقافي، ويقصد به تلك العيوب المضمرة والخفية خلف الخطابات الأدبية والثقافية بصفة عامة،ولقد ظهرت معها ثورة جديدة أساسها نقد الأنساق المضمرة.

ثالثا: لمحة حول الرواية العمانية:

إذا بحثنا في الأدب العماني ،و خاصة في الرواية فنلحظ أن هنالك تنوع كبير في النصوص رغم حداثة التجربة الروائية ،فعمر هذه التجربة الأدبية من عمر النهضة العمانية ،و التي طلعت ملامحها في 1970م ، و يعد عبد الله الطائي من أوائل الروائيين العمانيين الذين كتبوا في الرواية.

أصدر الروائي عبد الله الطائي روايتين الأولى "ملائكة الجبل الأخضر"1958م، أما الرواية الثانية الشراع الكبير 1972م، "و المتتبع للمسارات التطورية للرواية العمانية يلحظ أن مشهدها اليوم أصبح أكثر وضوحا و تنوعا ،حيث تتالت الإصدارات المتنوعة لكتاب شباب يطمحون إلى مغامرة الكتابة التي تعكس أفكارهم و تصوراتهم".[1]

لقد حاولت الرواية العمانية من خلال مسيرتها نقل قضايا الذات العمانية و همومها و مشاكلها و تصوراتها و ذلك بطرح الكثير من المواضيع التي تشكل أساس المجتمع العماني.

[1]نوال بومعزة : السردي و الأنثوغرافي في الرواية العمانية،مجلة المرتقي،العدد1،المجلد5،جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي،الجزائر،2022م،ص100.

الفصل الأول:
فلسفة الموت والحياة

تمهيد.

أولا: ماهية الموت والحياة

1.الموت La mort

2.الحياةLa vie

ثانيا: دلالة الموت و الحياة في الشرائع

1. الموت

2. الحياة

ثالثا: فلسفة الموت و الحياة

1. الموت.

2. الحياة

رابعا: ثنائية الموت و الحياة في الرواية

تمهيد:

مع مرور الزمن استمرت البشرية في التأمل في أعماق الموت و الحياة، و كيف تؤثر هاتان الظاهرتان الأساسيتان على وجودنا و تجربتنا.إن الموت بكل تأكيد هو النهاية الفردية الحتمية لكل إنسان، لكنه في الوقت نفسه يفتح لنا أبوابا عديدة إلى تفكير معمق في معنى الحياة .

تلعب الديانات السماوية دورا هاما في تشكيل وجهات النظر حول الموت و الحياة ، حيث تقدم تفسيرات مختلفة لما بعد الحياة و دور الروح فيه. أما الفلسفة تتنوع الآراء حول هذين العنصرين، فمنظرية الوجود على سبيل المثال تنظر إلى الموت كجزء لا يتجزأ من الحياة ، و تحث على اعتبار الوعي بالموت كمصدر للتفكير المعمق في الحياة و المعنى الحقيقي للوجود .

إن موضوع الموت و الحياة يثير العديد من الأسئلة الأساسية حول الوجود و الهوية و يدعو إلى التأمل العميق في معنى الحياة و التجارب التي نخوضها في طريقنا نحو النهاية ، و يمكن أن نأخذ بعض التعريفات و دلالة كل منها في الدين والفلسفة.

أولا: ماهية الموت والحياة:

1.الموت La mort :

أ-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أنَّ:"الموت خلق من الله تعالى، و الموت و الموتان ضد الحياة و رجل ميت و ميت ، و قيل الميت الذي مات و المائت، الذي لم يمت بعد، و يقال: ميت و ميت و المعنى واحد، و يستوي فيه المذكر و المؤنث و قيل الموت في كلام العرب يطلق على السكون، و يقال ماتت الريح أي سكنت و الموات بالفتح:ما لا روح فيه."[1]

وقيل:"ماتَ فهو مَيْتٌ و مَيِّتٌ: ضد حي مات ، سكن و نام، و بلى و الميت مخففة:الذي مات."[2] و لقد ذكر الله عز و جل الموت في العديد من المواطن في القرآن الكريم لقوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَهُم مَيِتُونَ}.[3] جاء في تفسير السعدي "**أَيْ كُلُكُمْ لَا بُدَّ أَنْيَمُوتْ**" .[4]

و لم تخلوا المعاجم العربية الحديثة من تعريف الموت و الحياة حيث جاء في المعجم الفلسفي :موت death,mort:انقطاع كلي، يقول الجرجاني في تعريفاته:"تعلق جوهرة النفس بالبدن على ثلاثة أضرب، الأول إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهرة و باطنه فهو اليقظة و إن انقطع ضوئها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم أو بالكلية فهو الموت". و معنى هذا النص ان النوم و الموت من جنس واحد لأن الموت هو

[1] ابن منظور لسان العرب ، دار المعارف ، مادة الموت ج55، المجلد6 ص4295 .

[2] . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، باب التاء ، فعل الميم، مات،ص164

[3] سورة الزمر،الآية .30

[4] عبد الرحمان بن ناصر السعدي ،تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، دار الذخائر نشر و توزيع مؤسسة الريان ،بيروت،لبنان،2001م، ص1006.

الانقطاع الكلي و النوم الناقص، و هو نفس المعنى الوارد لدى البدائيين إذ يتصورون أن النوم أخ الموت.و في الأساطير اليونانية "النوم" hypnos هو أخ الموت thanatosو هما متماثلان في الهيئة و يعيشان معا .و كان ثاناتوس يسمى ابن الليل ، و يصوره يوربيدس في جلباب أسود ممسكا بيده سيف القاتل. [1]

إذن فالموت لا يخرج عن دائرة الفناء و التلاشي كما أنه حقيقة لا مهرب منها،و هي مؤكدة و مقدرة على كل المخلوقات.

ب-اصطلاحا :

يأتي الموت كمقابل للحياة،و يُعَد حقيقة لا مفرَّ منها و سنة من السنن الكونية،و لم يُرهب الإنسان شيء كما أرهبته فكرة الموت،لذلك توجد عدة تعريفات للموت، جاء في المعجم الشامل للمصطلحات أن الموت"هو عدم الحياة من شأنه يكون حياً، و قيل عما انصف بها ، أو هو تعطل القوة(...)و هو أنواع: طبيعي ،اختزامي و الطبيعي يقال له الأجل المسمى،و هو انقضاء لحياة بالأسباب اللازمة الضرورية ،و يختلف الأشخاص باختلاف الأمزجة (...)و الموت من المواقف النهائية Grenzsituationen التي يصطدم بها الانسان (...)و لكنه يسمو بروحه لأنه يُلح عليه أن يعيش الحياة في أصالة و الشعور بأن الموت معلق على الرقاب."[2]

-مفهوم الموت بيولوجيا: "هو توقف دائم للوظائف و العمليات الحيوية التي تحافظ على وجود الكائن الحي على قيد الحياة."[3]

---

[1] مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة ،القاهرة ، مصر ،2007،ص630.

[2] عبد المنعم الحنفي،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،ط3، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر،2000،ص851.

[3] Jhon Daintith ,Elizabeth A martin,A dectionary of science,owford university press,new york,2010 ,p223.

-المفهوم السيكولوجي للموت: توجد في الإنسان غريزتان ، غريزة الموت و غريزة الحياة ، و تعد غريزة الموت مدمرة للإنسان عند العديد من علماء النفس فيرى سيغموند فرويد الذي يرى أنها :" أشبه بدافع يوجه إلى الداخل بوصفه نزعة مدمرة للذات و تتمثل على نحو خاص في محاولات الانتحار الناجحة أو الفاشلة أو كتعاطي المخدرات و الإهمال في النظام الصحي و الغذائي،إلا أن هذا الدافع يتحول بعد ذلك إلى الخارج فيأخذ شكل مشاعر عدوانية منها الغضب و الحقد و هذا ما يهدف إلى إلحاق الأذى و الموت بالآخرين."[1]

2.الحياةLa vie :

لغة:

جاء في المعجم الوسيط ضبط لمصطلح الحياة بأنها"نقيض الموت إذا كانت معرفة وهي المنفعة،والحِيُّ هي جمع الحياة، والحياة الطيبة هي الجنة،و الأحياء هم المؤمنون،وإحياء الليل هو السهر فيه بالعبادة وترك النوم"[2]

اصطلاحا:

في مفهومها العام هي الخاصية التي تميز الكائنات المادية ذات العمليات الحيوية مثل تأشير الخلية والاكتفاء الذاتي من تلك التي تتمتع بذلك لأسباب قد يكون منها توقف هذه الوظائف (الموت) أو عد امتلاكها هذه الوظائف أساسا(جماد). "هي الحركة العقلية أو الجسدية، فالإنسان الحيُّ

[1] شاعر عبد الحميد، ليس لهؤلاء من الموت أمل ،مجلة الثقافة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، العدد282، مارس 2014.

[2] مصطفى إبراهيم ،أحمدحسين وآخرون:المعجم الوسيط،حرف الحاء(الحياة)،ط2،القاهرة،مصر ،1392هـ ،ص235.

إذا كانت أعضاؤه غير متوقفة علما بأن الحياة بأنواعها الاجتماعية والسياسية والدينية، فالحياة متعددة الأوجه، وتستخدم في عدة استخدامات حسب المجال الكلامي ونوعه، وتمثل مجمل الأحداث على الأرض التي يكون فيها المشاركات للكائنات الحية كافة." [1]

ثانيا: دلالة الموت و الحياة في الشرائع:

1. الموت:

يعتبر الموت من أهم القضايا التي لقيّت جدلا كبيرا بين مختلف الباحثين والعلماء على غرار اختلاف دلالته بين الديانات المتعددة.

أ. في شريعة اليهود:

تؤمن بالقيامة والحياة الآخرة،فنجد في الكثير من الدراسات أن التعامل مع موضوع الموت يظهر بشكل غير محدد في الكتاب المقدس،على الرغم من الإشارة في أغلب الأحيان إلى أن الموت الجسدي هو نهاية الحياة."فحتمية الموت في الفكر اليهودي ثابتة ولا شك في ذلك،وكذلك مسألة البعث والحساب،إلا أننا نجد الأمة اليهودية أكثر الناس حرصا على الحياة بالرغم من تأصيل حتمية الموت عندهم لأنهم أصحاب فكر مادي بحت لا يؤمنون إلا بالمحسوس(...) ونسبة لتأثير الفكر اليهودي بالفلسفة القديمة التي من شأنها إنكار البعث واعتقاد خلود الروح ،فمن ذلك نشأت فرق متباينة الأقوال في مسألة خلود الروح

[1] سعيد حسين العبد يوسف: الموت و الحياة دراسة موضوعية في المصطلح القرآني، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في أصول الدين ، إشراف:د خضر سوندك،كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية،نابلس ،فلسطين،2017م،ص11.

والبعث واليوم الآخر ،ولكن لم توجد فرق تنكر حتمية الموت"[1] . وبالتالي فهو جزء من دورة الحياة عندهم ينظر إليه بمفهوم معقد يتضمن العقائد والطقوس،فاليهود يؤمنون بأن البشرية تشارك في خلق العالم وتأثيره،والموت هو إحدى مراحل هذه الرحلة الروحية.

ب. في شريعة النصارى:

أدركت المسيحية أن الموت أحد مكونات الوجود وليس كما عُرف دائما بأنه مشكلة.فحسب قول القديس"بولس":"هكذا نفذ الموت في جميع الناس"[2] يعتبر الموت أحد عناصر الوجود وجوهره.فقد أدركت المسيحية الموت من ناحيتين انه"شر وقالت عنه أنه خير،أي أنه شر بوصفه ابن الخطيئة وهو خير من حيث أنه الواسطة بين المتناهي و اللامتناهي".[3] أي أنها تناولت هذا المفهوم انطلاقا من وصفه شراً باعتباره قلقا وخوفا من ناحية ،ووصفه خيراً لأنه يعبر عن الفرحة والسعادة من ناحية ثانية.

اهتم العهد الجديد بمسألة الحياة الآخرة"فقد استقى عقائده ومفاهيمه الدينية من معيَّن آخر مغاير لأسفار العهد القديم،فنجده يعلن الانتصار على الموت، ورده عليه هو أنه أعظم الأعداء وأسوءهم ولكن هذا العدو تمَّ بالفعل قهره."[4]فالمؤمنون بالمسيح يوقنون أنهم سيهزمون الموت مع وبواسطة المسيح الذي لا يهاب الموت بل يعتبره سبيل المرور إلى الحياة الأبدية السعيدة.كما أنهم يؤمنون بعقيدة خلود الروح التي تقوم على استمرار الروح في الوجود بعد وفاة الجسد إما في الجنة أو في جهنم"**إنّ مسألة صفة الخلود أهم** من

---

[1] د.إسماعيل صديق عثمان،فلسفة وحقيقة الموت في الأديان دراسة مقارنة، المجلة الليبية العالمية،العدد 20،17أبريل 2017م،كلية التربية المرج،جامعة بنغازي، ليبيا،ص10.

[2] عبد الرحمان بدوي،موسوعة الفلسفة،ج1،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ،ط1،بيروت،لبنان،1984م،ص303.

[3] المرجع السابق،ص303.

[4] جاك شورون،الموت في الفكر الغربي، تر:كامل يوسف حسين، عالم المعرفة،الكويت ،1984م،ص99.

الخلود فالحياة الآخرة في في العهد الجديد هي التي ترمز إلى عواقب الإيمان والكفران وتنقسم إلى الجنة والجحيم."[1]

ج. في الدين الإسلامي:

يقول الله عزَّ وجل في كتابه العزيز{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَة المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون}[2] يفسّرها "ابن كثير"بقوله:"أينما كنتم يدرككم الموت، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله، فهو خير لكم،فإن الموت لابد منه ولا مُحيد عنه ، ثم إلى الله المرجع والمآب،فمن كان مطيعا له جزاه أفضل الجزاء ووافاه أتم الثواب". إن الله تعالى خلق الموت كما خلق سائر المخلوقات،وجعله ضرورة كونية وشرعية على العباد أجمع،فهو يوصل جميع الناس إلى مصيرهم الأبدي بغض النظر عن كونهم مؤمنين أو كافرين.فقد جاء ذِكر الموت والعالم الآخر في أكثر من خمسين موضعا في القرآن الكريم، من حيث تذكير الناس به والاستعداد له بترك شهوات الدنيا الفانية التي لا محالة منها مادام الموت سينهيها.

في كتاب"حقيقة الموت بين الفلسفة والدين"نلتمس تذكيرا لأهمية الموت من خلال قول صاحبه:"فالموت قضية حتمية بينية بنفسها عالجها القرآن الكريمالذِّي هُوَ تَنْزِيلٌ مِن لَدُن الحَكِيم وجعلها حجر الزاوية في بناء وعي بالحياة يهدي إلى الرشد ويقود إلى صلاح البشرية"[3]،فهو واقعة حتمية مصيرية عالجها كتاب الله تعالى، لأنها تُصلح العبد وتذكره باليوم الموعود.

---

[1] آرنولد توينبي وآخرون،الإنسان وهموم الموتتر:عزت شعلان،المركز القومي للترجمة،ط1،القاهرة،مصر ، 2011،ص189.

[2] سورة العنكبوت ، الآية 57.

[3] محمد عبد الرحيم الزيني،حقيقة الموت بين الفلسفة والدين، دار اليقين للنشر والتوزيع،ط1،مصر ،2011م،ص37.

{كُلُ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتَ وَإِنَمَا تُوَّفُونَ أُجُورَكُم يَوْمَ الْقِيَامَة}[1] هذه الآية توحي لنا بأن جميع الأنفس الحية تخضع لقانون الموت من دون أي تمييز أو تخصيص، ف"الموتحق وليس نهاية الإنسان الأبدية وإنما هو بداية لحياة دائمة لا تنتهي كما أراد الله عز وجل"[2]. لذلك هو نهاية البداية وبداية النهاية لأنه يتم فيه انتقال الإنسان من مرحلة الحياة الدنيا إلى مرحلة الحياة الآخرة.

الموت هو رحلة انتقال من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ، و الذي يُعرفه العلماء والمفسِّرين بأنه الفترة التي يقضيها الإنسان في قبره بين الموت والبعث، والتي تسمى أيضا ب"**الحياة البرزخية**" التي تبدأ من لحظة استخراج روح الإنسان من جسده ووضعه في القبر إلى غاية قيام الساعة، فإذا كان الإنسان صالحا في حياته تكون حياته البرزخية مريحة،أما إذا كانت أعماله سيئة تكون حياته البرزخية شاقة وعسيرة.فهي بذلك حياة انتقال وانتظار.يقول الله تعالى:{لَعَلّي أَعْمَلُ صَالِحَا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِمْبَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[3]

تبقى حقيقة عالم البرزخ يتخللها الغموض وعدم الوضوح، فنحن لا نقول إلا ما لّمح إليه القرآن الكريم والحديث الشريف، وما توصلت إليه جهود العلماء والمفسرين.

ذكر الدكتور "محمد سعيد رمضان البوطي" في كتابه"كبرى اليقينيات الكونية":"إنها الحقيقة التي تعلن على مدى الزمان والمكان، وفي أذن كل سامع وعقل كل مفكر:أن لا ألوهية إلا لذاك الذي تفرد بالبقاء،فهو الذي لا مرد لقضائه ولا حدود لسلطانه،ولا مخرج عن حكمه ولا غالب لأمره. فحقيقة الموت أمر مشاهد محسوس من جانب وأمر مخفي

[1] سورة آل عمران ، الآية 195.

[2] محمد عبد العظيم،الموت كيف نفهمه ونعمل له ،دار الصحابة،طنطا،ط1993،1م،ص17.

[3] سورة المؤمنون،الآية 100.

غيبي لم يدركه الحس ولا يحوطه العلم من جوانب أخرى، لا نصل إليها وما زلنا نسير في معبر هذه الحياة الدنيا إلا بعد وصول النهاية ومصير كل مخلوق حي"[1]

2. الحياة:

تؤمنالأديان السماوية بوجود غاية أو معنى عميق للحياة من جانب العبادة والعمل على تحقيق الخلاص،ولهذا يتوجب أن يكون الدين هو المصدر الرئيسي الذي يُعتمد عليه لتحديد معنى الحياة.

أ.في شريعتي اليهود والمسيح:

تحمل لفظة(الحياة) في الديانة اليهودية معنى الحياة المادية (الكهولة المديدة، ذرية كثيرة، وفرة الخيرات والممتلكات...) ، أما في الديانة المسيحية فهي تدل على الحياة الأزلية(حياة الروح المتعارضة مع الحياة السابقة) ،لذلك ورد أن"الحياة الأزلية هي معرفة الله"... ولذلك فقد كان معظم أولئك الذين ينادون بعبادة الحياة تحديدا ، من بين أشد المعادين للزهد المسيحي وفكرة الحياة الأزلية."[2]فنقصد بالحياة المادية حياة الإنسان الطبيعية أو مدة عيشه على الأرض ،أما الحياة الأزلية فهي توحي إلى أسيرة الأبدية الرافضة لكل ما هو حيّ وهو ما أضفى عليها لمسة روحية كانت السبب وراء قداستها وتعاليها .

ب.في الإسلام:

ودت كلمة (الحياة) في القرآن الكريم "لتدل على معنى الوجود في مقابل العدم،ولتدل على الفهم المادي للموجود،كما استخدمت لتدل على الاستحياء بمعنى الذل والهوان،

---

[1] د . محمد سعيد رمضان البوطي:كبرى اليقينيات الكونيةوجودالخالق ووظيفة المخلوق،دار الفكر المعاصر ،ط8،بيروت،لبنان،1982م،ص306-307.

[2] لالاند أندريه:موسوعة لالاند الفلسفية،مج1،تعريب:خليل أحمد خليل،منشورات عويدات،ط1،بيروت،لبنان،2001،ص1251-1252.

والبقاء بمعنى الخلود، والحياة الطاهرة الشريفة لاتصالها بالمبادئ والقيم،واستخدمت موصوفة لتدل إما عن سفالتها وإما على زمانها، كما صيغت بصيغ مختلفة لتدل على الإطلاق أو الحقارة، أو الحياة المتطورة ذات البعد الحضاري، أو الحياة المتخلفة ذات البعد الحيواني البدائي،أو الحياة الحسية ذات البعد المدني المادي الخالي من القيم الخلقية والروحية"[1].فعندما أورد القرآن الكريم آيات الحياة ذكر زينتها وفخامتها وشهواتها وأموالها وبنيها ونسائها وإنفاقها... وغيرها.ولفظ الحياة "يستخدم في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:

- **الأول:**الحياة بمعنى الخلق الأول ، قال تعالى:{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّه وَ كُنتُم أَمْوَاتاً فَأَحيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحْيِيكُم ثُمَّ إِلَيْه تُرْجَعُونَ}[2]
- **الثاني:**الحي، يعني:المؤمن المهتدي، قال تعالى:{ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا و يَحِقَّ القَوْلُ عَلى الْكَافِرِين}[3]
- **الثالث:**الإحياء:الإبقاء، والحياة: البقاء ، قال تعالى:{ وَلَكُم فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الْأَلْبَاب لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ}[4]
- **الرابع:**الحياة:حياة الأرض ونماؤها بالنبات ، قال تعالى:{ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ}[5]
- **الخامس** :الإحياء للعبرة قبل يوم القيامة من غير رزق ولاأثرفي الدنيا، قال تعالى:{ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلْ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَّبِكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الْطِّينِ كَهَيْئَةِ

[1] أد. محمد رحماني :معنى الحياة في القرآن الكريم،مجلة إحياء،العدد الثاني،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية،جامعة باتنة، الجزائر،ص27.

[2] سورة البقرة،الآية 28

[3] سورة يس،الآية 70.

[4] سورة البقرة،الآية 179.

[5] سورة ق،الآية 11..

الْطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِما تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[1]

- **السادس:**الحياة الدنيا ، قال تعالى:{ اللهُ يَبْسُطُ الْرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الْدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ}[2]
- **السابع:**الحياة الأخروية الأبدية، قال تعالى:{ يَّقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}[3].
- **الثامن:**الحياة التي يوصف بها الباري ، قال تعالى:{ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ}"[4]

ثالثا: فلسفة الموت و الحياة:

1. الموت:

خلقت مشكلة الموت العديد من التساؤلات و شكلت هاجسا معرفيا ، خاصة للفلاسفة حول طبيعة الموت، بدأً من الفلاسفة القدماء ، فيرى أفلاطون (Platon) أن الحقيقة الفلسفيةقابعة خلف بوابة الموت حيث يقول "الفيلسوف الحق يسعى إلى الموت و الاحتضار دوما، لأنه يسعى وراء الحقيقة حيث أن الجسد عائق لتحقيق المعرفة لأن حواسنا تشوش رؤيتنا العقلية القادرةوحدها على رؤية النور." ينظر أفلاطون إلى النفس على أنها تقطن الجسم كما لو كانت سجينة ، يقول شذرتين ليوربيدس Euripides "من ذا الذي يعرف إذا كانت هذه الحياة و ليس موتا ، و إن كان الموت لا يعد حياة في العالم السفلي؟" [5]

---

[1]سورة آل عمران،الآية49.

[2]سورة الرعد،الاية26.

[3]سورة الفجر،الاية 24

[4]ينظر: جزولي، احزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم . دراسة موضوعية،دار طويق للنشر والتوزيع،ط1،الرياض، السعودية،1418هـ/1997م،ص28-32.

[5]جاك شورن، الموت في الفكر الغربي،تر:كامل يوسف حسين ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت،1984،ص52

و لقد أثرت هذه النظرية كثيرا في أفلاطون الذي حاول صياغتها عل شكل مذهب يعني أنها "حينما يهاجما الموت لا يمكن أن تفنى". و لقد قدم بعض الحجج لتأكيد الخلود مثلا:

-أن النفس تتحكم في الجسد و تسيطر عليهن و من هنا فهي تشبه الآلهة الخالدة .

-النفس التي جوهرها الحياة و بالتالي فهي نقيض الموت ذاته ن لا يمكن النظر إليها باعتبارها محتضرة أكثر من النظر إلى النار باعتبارها تتحول إلى البرودة .[1]

لقد كان أفلاطون مدركا نقص حججه حول خلود النفس ، فما تم البرهنة عليه أن الموت عملية لا تؤثر إلا على الجهاز العضوي الجسمي و أن النفس لا تموت. و على الرغم من ادراكه إلا أنه ظل يؤمن إيمانا جازما بخلود النفس (...) يتعين علينا أن نتأمل الفكرة التي تقول بأنه بلمثل الخالدة و بخلود النفس لأنه كان يخشى الموت."نرى أن أفلاطون كان مؤمنا بفكرة النفس الخالدة لأنه كان يخشى فكرة الموت أو الموت بحد ذاته, و كأنه يقنع نفسه بأنه سيعيش ثانية و لن يفنى مع أن حججه ناقصة إلا انه يأبى الرضوخ لفكرة الموت و أنها حقيقة مؤكدة لا مهرب منها .

أما أرسطو (Aristote) الذي كان من أعظم تلاميذ أفلاطون ، على طرف النقيض في جوانب كثيرة لقد حاول الإجابة على الموت في العالم الطبيعي و ليس في عالم الموارائيات كما فعل أستاذه من قبل .

في أول كتاب له تحب عنوان اوديموس Eudemos لا يتابع أفلاطون في تفكيره في موضوع خلود النفس إنما يرى و يؤكد على وجود النفس السابقة على البدن و كذلك انتقالها من جسم إلى آخر ، و يؤكد بالتالي على بقاء الشخصية الفردية الواعية بعد الموت يقول أرسطو" يطلق سراح الذهن من أوضاعه الراهنة " هنا نتذكر وجهة نظر

[1] المرجع السابق،ص53.

أفلاطون عن تحرير النفس من قيود الجسد ، و لقد أدت آراء أرسطو حول خلود العقل خلافات طويلة ومريرة ، و على الرغم من هذه النظريات إلا أنه كان يشكك للغاية إزاء نظرية تستطيع النفس بكليتها مواصلة البقاء.

يمكننا القول أن أرسطو أخذ القليل من نظرية أفلاطون و على الرغم من أنه كان مشكك فبها لكنه كان يعلم بقوة بأن للوجود الإنساني معنى و أنه هام.

أما في الفلسفة الحديثة فيعد موقف نيتشه إزاء الموت كان مزدوج الدلالة فقد" بدا الموت له في البداية تحررا من وجود لا يطاق"(...) و نجد في كتاباته تمجيدا للموت ينافس تمجيد الأوائل له ." ليس الموت صفعة للإنسان و للأرض ... فكل ما يصل إلى الكمال ، و كل ما يبلغ النضج يرغب الموت ...لقد تحولت الموت إلى دواء مر على يد عقول الصيادلة ضيقة الأفق ، مع أن المرء يتعين عليه أن يجعل من موته عيدا." من ناحية أخرى بدا الموت له غالبا كعدو ، و هناك صرخات تظهر محالة الوصول إلى التصالح مع ضرورة الموت " يمتلك المرء اليقين بأنه لا بد ميت ، فلم لا يفرح؟"

يصبح من الواضح أن نظرية العود الأبدي كانت عند نيتشه دفاعا في مواجهة الموت و الفناء (...) كان نيتشه يرغب في تخليد الوجود الزائل للإنسان المتناهي"[1]

2. الحياة :

تحتل مسألة الوجود في الفلسفة مكانة أساسية، على اعتبار أنها طُرحت من قديم وما تزال حاضرة إلى اليوم بشكل متجدد، فالإنسان دائما ما كانت تشغله أسئلة وجودية من قبيل: ما أصل الكون وما حقيقته وما مصيره؟، وضمن محاولات الإجابة على مثل هذه التساؤلات تشكلت آراء وتيارات عديدة على مر تاريخ الفكر الإنساني وراحت تفصل في مفهوم الوجود ومراتبه وحقيقته، ولعل الفضل يرجع لفلاسفة اليونان القدماء في توجيه

[1] ينظر: جاك شورن، الموت في الفكر الغربي ،ص 58/52.

الفكر الإنساني إلى البحث في الوجود الخارجي والاهتمام بالظواهر الطبيعية ومحاولة البحث عن حقيقة المبدأ الأول للأشياء، بدءاً من الفلاسفة الطبيعيين الأوائل ومروراً بالثلاثة الأشهر سقراط وأفلاطون وأرسطو، وصولاً إلى المدارس اليونانية المتأخرة، كلها جعلت من مسألة الوجود قضية محورية في البحث الفلسفي.

"نحن عبارة عن جثث تمشي على الأرض " هذه العبارة تكفي بأن ترعب الإنسان و تجعله يبحث دوما عن معنى و غاية تبرر وجوده[1].

الوجود يعد من أهم المسائل الميتافيزيقية و الإلهية و المفكرين و الفلاسفة يختلفون في تحديد و تعريفمعناه، (...) الوجود يجب أن يكون في مكان محدد و بشكل خاص يجب أن ندرك أن وجودنا هو الشعور بوجودنا .[2]

فيرى أفلاطون أن الوجود عالمين :" عالم المثل ،و العالم المحسوسات فعالم المثل هو العالم الحقيق ، هو العالم العقل ، عالم العقل ، عالم الخير ،عالم الله ، أما عالم المحسوسات فهو عالم المادة (...) و من هنا ينقسم وجود الإنسان إلى عالم الدنيا و عالم الآخرة .[3]

أما أرسطو فقد لاحظ أن الوجود يقصد بعدة معان على نحو ما كان يفصل السفسطائيين، و هذا ما من شأنه أن يغبش الرؤية و يعمي عن الحقيقة ،لذلك صرف جهده إلى محاولة تبيان معنى الوجود و ضبط حدوده (...)فأما الوجود فهو موضوع

---

[1] بابا عربي عديلة، مشكلة الموت في فكر ألبير كامو ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص فلسفة عامة ،كلية العلوم الانسانيو و الاجتماعية ،جامعة قاصدي، ورقلة ،2019-2020،ص65

[2]. زينة علي جاسم محمد ، مفهوم الوجود و دلالاته في الفكر الفلسفي ،مجلة كلية الفقه ،العدد30،جامعة الكوفه ،2019،ص351

[3] جيهان نور الدين محمد المقدم، الجانب الأخلاقي عند أفلاطون (عرض و تحليل) ، حولية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات، العدد8، جامعة الأزهر ،2018،ص1126.

الفلسفة الأولى ،و يقصد به أرسطو الوجود الثابت من حيث هو ، و لا يقصد به الوجود العرضي الخاضع للتبدل و الزوال فالوجود الثابت من حيث هو حق لا يتعلق بالأشياء بل بالعقل فهو يرجع للمنطق.[1]

أما اهتمام هيدجر الفلسفي الأساسي هو مسألة معنى الوجود ،و على الرغم من أن الوجود (Being)مفهوم شديد العمومية ،و بالتالي غير قابل للتعريف بالمعنى الصحيح ، فإن هذا هو على وجه الدقة ما يمثل التحدي المتجسد في التساؤل عن معناه(...) إننا نعزو صفة الوجود (sein) إلى كل ما هو موجود ، و من ثم فإن علينا أن نسأل كل ما هو موجود (seiendes) عن معنى الوجود، و لكن هناك موجودات لها معان مختلفة ،فالوجود (Being)هو كل ما نربط به أنفسنا بهذه الطريقة أو تلك، و الوجود (being) كذلك هو ما نحن أنفسنا عليه و الكيفية التي نحن عليها، فمن أي موجود إذن يتعين علينا أن نحاول استخلاص معنى الوجود؟ إن هيدجر يعلن أننا نملك في الوجود الذي نمثله نحن أنفسنا وواضحا و فيما يسميه بالوجود الإنساني(desein) فهما سابقا على التفلسف وواضحا من تلقاء ذاته للوجود (being)، و هذا الفهم للوجود هو لب الانطولوجيا بأسرها و هو قلب النظرية الفلسفية للوجود.

تحتل مسألة الوجود في الفلسفة مكانة أساسية، على اعتبار أنها طُرحت من قديم وما تزال حاضرة إلى اليوم بشكل متجدد، فالإنسان دائما ما كانت تشغله أسئلة وجودية من قبيل: ما أصل الكون وما حقيقته وما مصيره؟، وضمن محاولات الإجابة على مثل هذه التساؤلات تشكلت آراء وتيارات عديدة على مر تاريخ الفكر الإنساني وراحت تفصل في مفهوم الوجود ومراتبه وحقيقته، ولعل الفضل يرجع لفلاسفة اليونان القدماء في توجيه

[1] رزيق رابح ،بن عومر رزقي ، في مفهوم الوجود وتطبيقاته في فلسفة صدر الدين الشيرازي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد 35، جامعة محمد بن أحمد ،وهران2 ،2018،ص307.

الفكر الإنساني إلى البحث في الوجود الخارجي والاهتمام بالظواهر الطبيعية ومحاولة البحث عن حقيقة المبدأ الأول للأشياء، بدءاً من الفلاسفة الطبيعيين الأوائل ومروراً بالثلاثة الأشهر سقراط وأفلاطون وأرسطو، وصولاً إلى المدارس اليونانية المتأخرة، كلها جعلت من مسألة الوجود قضية محورية في البحث الفلسفي.

رابعا: ثنائية الموت و الحياة في الرواية:

تبدأ رواية "تغريبة القافر" بتلازم بين ثنائية الموت و الحياة،بطريقة معقدة و متشعبة حيث يتناول الكاتب تجارب شخصياته في مواجهة الحياة و الموت ،يستهل "زهران القاسمي" روايته بحدث غريب ذلك الحدث الذي سبب الصدمة و الذهول بين أهالي القرية ، فكل ما يدور في الرواية مرتبط ارتباطا وثيقا بهذا الحدث و هو الذي يشكل السردية الروائية .إنه مشهد انتشال جثة من البئر تعود إلى امرأة تدعى"مريم بنت حمد ود غانم" حيث يصف لنا القاسمي معاناة هذه الشخصية مع صداعها الشديد الذي لم تجد له حلا إلا بغمر رأسها في الماء ، فكان هو ملاذها الأول للراحة، و نلتمس ذلك في قوله: "(...) **لاحظت أن صداعها يخفُ إذا أغمضت عينيها ، و عندما نزلت مرّة إلى حوض الماء بجانب البئر و غاصت تحت الماء لاحظت أن الصداع اختفى تماما.**"[1] نرى أن الكاتب يريد أن يظهر لنا مدى أهمية الماء في حياة هذه الشخصية أ ي أن هذه الشخصية مرتبطة بالماء لأنه يُعد علاجها الأول للتخفيف من حالتها ، لكن سرعان ما تحول هذا المنقذ إلى قاتل.

مع تأزم حالة "مريم" راودتها أحلام شنيعة وكوابيس مرعبة، فقد أصبح يُخيّل إليها سماع أصوات غريبة كهمسات البئر مثلا التي لازمتها طوال فترة هلوستها،وهو ما نلحظه في قول الكاتب :"**في الأيام الأخيرة، صار هناك صوت يناديها من بئر عميق لا قرار له**

[1] زهران القاسمي ، تغريبة القافر ،منشورات ميسكلياني،ط7، تونس،2023،ص17،18.

، فترى نفسَها تهبط بالحبل حتى قعر البئر،و عندما تدخل رأسها في الماء تشفى من الصداع.تسمع الهمس فيهدأ الضجيج في رأسها قليلا،فتستسلم له وتتبعه،هكذا يجري الأمر في كل حلم حتّى تنزل إلى البئر فيتحوّل الهمس تدريجيا إلى أغنية تنبعث من صوت رقيق يأتي من الأعماق.في ظهر أحد الأيام والسّكون يلف القرية وقد خبت أصوات المناجير،خرجت مريم بنت حمد ود غانم من بيتها متجهة صوب بئر الخطم،حاملة جسدها المتعب،تُجرجره وتترنح تحت وطأة الوجع،حتى وصلت عند البئر،فوضعت قدميها على حافتها،وأمسكت الحبل الذي لطالما رأته في الحلم،مستجيبة للهمس المنادي من الأعماق،"تعالي تعالي".تدلت هابطة في البئر و إذ ثقل جسدُها على الحبل أفلتت يديها و سقطت في الهوة العميقة."[1] ففارقت "مريم" الحياة على يد من كان يعطيها الراحة و الأمل ، نرى أن الكاتب حاول إظهار كمية المعاناة و الألم التي كانت تعيشه الشخصية إلى درجة الجنون و الهلوسة ،و مع أن مصيرها كان أليما و كان مشهدا مأساويا بجدارة و يعبر عن حالة المعاناة و كيف أن للماء جانبان الأول نافع لأنه كان شفاء لها ، و الثاني ضار لأنه كان مُنهيا لحياتها .

الموت هو أكثر فكرة تُرعب أي شخص على الوجود، فماذا بخصوص فكرة خروج حيٍّ من الميت؟، هذه كانت الطريقة التي وُلد بها بطل روايتنا "سالم" ،فحسب تسلسل أحداث الرواية كانت الغريقة على مقربة من الولادة فأثناء غسل الجثة و تكفينها اكتشف الحاضرون وجود حياة في أحشائها ،تضاربت الآراء حول وجوب إبقاء هذا الجنين أو دفنه مع أمه، لكن غريزة الوجود و المقاومة تفوقت وأبت ذلك و أُخرج "سالم" من بطن أمه المتوفية،كما يتبين في قول الكاتب :"**في بطنها حياة... في بطنها حياة(...) تضارب الآراء و ساد اللغط بين الناس لكن الشيخ حامد بن علي، (...) قال لهم و قد هب من جلسته في الطرف القصي من الحضرة : "بو بطنها أَولى به الدفن "(...) لكن هذه**

[1] المصدر نفسه ،ص25-26.

حياة، تدفن إنسان حي في التراب و تحكم عليه بالموت، و تقول شرع؟(...) و عندما انتبه الناس إلى بكاء الرضيع التفتوا إلى مصدر الصوت مندهشين،(...) ابتسمت وسط الفجيعة و رددت و قد ملأت الدموع عيناها "محلاه ...صلاة محمد السّلام... يُخرج الحيّ من الميّت ، يُخرج الحيّ من الميّت."[1] تغلب الرضيع على رأي الشيخ و كانت غريزته الوجودية أقوى من رأيه وكلمته،فسرت فيه الحياة التي فارقت أمه، في هذا المقطع نلاحظ شدة خوف أهالي القرية على الجنين من الموت و أن لكل كائن الحق في أن يعيش و الحق في أن يكون موجودا على اختلاف نوعه وصنفه،على الرغم من المكان والظروف الذي وُلد فيها ،كما أنه تصوير لحجم الألم و الفقد الذي يعيشه "سالم" كونه وُلد من جوف جثة هامدة ، أعطانا الكاتب تجربة قرائية فريدة من نوعها كون أن بطلنا وُلد من رحم وقلب المعاناة و أصبح طفلا مختلفا اعتبره مجتمعه نذير شُؤم عليهم. الرواية تُعد تأملا في فكرة الحياة و الموت و تأثيرهما على الفرد و المجتمع ، و تُبرز كيف يمكن للموت أن يعطي معنى للحياة و يساهم في تشكيل هوية الإنسان .

- **الأعجوبة المنبوذة:**

"سالم ولد عبد الله" سُمي سالم لأنه سلم من الموت بأعجوبة ، لكن لم يسلم من مجتمعه ، يصور لنا الكاتب معاناة هذه الشخصية منذ ولادتها الغريبة فمنذ أول يوم فتح عيناه على الحياة و أهل القرية ينادونه "**ولد الغريقة**" "**ولد الجنية**" كما نلاحظ في قول الكاتب:"**قالوا:"يكلموه أهل تحت " و قالوا :"تو تأكدت أنه ود الجن**".فقد كان منبوذا باتهامات و خرافات أنه ابن الجن بسبب طريقة ولادته وطريقة وفاة أمه الغريبتين، فقد وُلد غريبا عن أمه التي لم يرضع حليبها ويشبع حنانها كباقي أقرانه ،مع مرور السنوات بدأ "سالم"يكبر تدريجيا وبدأت معالم من السحر والخيال في الظهور معه إنها موهبة تقفي أثر

[1] زهران القاسمي:تغريبة القافر، ص14،15.

المياه، لكن وبطبيعة الحال لا أحد في هذه لقرية يُؤمن به فكل ما يدور حوله أن الجن تخبره عن مكان الماء،أو ظنوا أنه مجنون فحسب،أو أنه يحاول إثبات نفسه نظرا للنقص الذي يتلقاه في مجتمعه،أما آخرون فقد اتهموه بالسحر ،فمن ذا العاقل الذي يصدق أن طفلا في مقتبل عمره يستطيع سماع أصوات الأشياء الدقيقة في الطبيعة وخاصة خرير المياه في باطن الأرض الذي يكاد ينعدم في تلك البلدة؟ظلّت هذه الشخصية تعيش النبذ و الحرمان و الألم"**لم يستطع سالم بن عبد الله اللعب مع الأطفال مثلما كان يفعل سابقا.صار الكل يتحاشاه وهو لا يدرك لصنيعهم سببا، لم يعرف أن الأمهات قد حذرنَّ أولادهنّ كي لا يقتربوا منه،وأمَرنَهم أن يمتنعوا عن اللعب معه.**"[1] ، فهذا المقطع هو تجسيد لكمية الشقاء والوحدة الذي صادفهما في حياته و حجم العنصرية التي كان يتعرض لها من طرف أهالي القرية . عاش "سالم " كطفل فريد من نوعه مقارنة بأقرانه وفي وسط قريته لكنه كان يعيش الأمرين ألم فقدان الأم وعدم الارتواء من حنانها و ألم التغرّب في وسط بلدته ووطنه.

إن تصوير الشخصيات والأحداث بطريقة تعكس الصراعات الداخلية والخارجية التي يواجهها أبطال القصة هي الطريقة الأنسب التي رأى فيها"زهران القاسمي" بناءا للحبكة السردية لهذا المتن الروائي، وبما أن حياة القافر مرتبطة ارتباطا وثيقا بالماء ، فهو وبدون شك يعكس لنا تأثير الطبيعة و البيئة التي شكلت الشخصية، فرغم الرفض الذي كان يتلقاه استطاع وأخيرا أن يتغلب على هذا الهاجس ويُثبت نفسه لأهالي بلدته،يقول القاسمي في روايته:"**وفي ذلك اليوم نفسه حفر عبد الله ثقبا في الجدار الصخريّ للسّاعد بعيدا عنهم،بعد أن ضرب بمطرقته المسمار وأوغل به في الصخر حتى غاب إلى رأسه،بدأ يضربه من اتجاهات مختلفة كي يخلخل جوانب الصّخر ثمّ يسحبه إلى الخارج.**

[1] زهران القاسمي:تغريبة القافر،ص77.

وما إن أخرج المسمار من ذلك الثقب الغائر في الأرض حتى تسلل الماء بخجلٍ، و كأنّ هناك من يدفعه إلى الخروج.

وقف عبد الله بن جميّل[1] مشدوها لا يعلم ما يقول،بقي واجما ينظر إلى الماء وهو يملأ القناة،ثم نظر إلى ابنه فرأى حالة تشابه الهيام تعلو وجهه،حالة من الفرح العارم،وعيناه تلمعان في تلك العتمة التي لا يضيئها إلا بصيص من الضوء.و ما هي إلا لحظات حتى تناهي خرير الماء إلى مسامع الجميع.

-ماي..ماي.

كرر سالم بن عبد الله كلمته، كرر لعبته القديمة،ظل يكررها من دون أن يتوقف كأنه ينتشي بها.وسرعان ما تحلق الجميع حوله،لا يدرون ما يقولون،واجمين مخذولين بعد أن رأوا بعيونهم صدق كلامه، فكيف يحدث ذلك؟كيف استطاع هذا الولد الضعيف معرفة مكان الماء ورجال الخبرة الذين خبروا الأفلاج حادو عنه.[2]

بعد أن أنقذ سالم قريته من الجفاف المدقع الذي أصابها لسنوات عديدة ، شاع صيت القافر بين القرى المجاورة والصحاري المختلفة ، فبات مقصد العديد من الوافدين من أماكن بعيدة أصابها القحط ولم يستطيعوا إيجاد مكان الماء،فتحولت هذه القدرة من موهبة يمتاز بها سالم إلى مهنة يزاولها لكسب قوت يومه ، تتمحور حياة هذه الشخصية حول البحث المستمر عن الماء ،فهو يتبع آثاره في القرية و يحاول التأقلم و البقاء على قيد الحياة في هذه البيئة القاسية.

يصبح "سالم" الموضوع الأهم في القصة التي تدور حولها جميع الأحداث.يتعامل القافر مع موهبته الأسطورية بنوع من الإيجابية ونوع من السلبية تتجسد الإيجابية في

[1] عبد الله بن جميّل هو والد الشخصية الرئيسية.

[2] زهران القاسمي:تغريبة القافر،ص118 .119.

رغبته في استخدام قدراته لمساعدة القرية للبحث عن المياه والتغلب على الجفاف،في حين أنها تنعكس سلبا على شخصه ونفسيته فهو يعيش في معزل دائم عن الناس تائه في دوامة البحث عن نفسه المندثرة.

مع مرور الزمان وتوالي الأيام استأنس القافر بحياته الجديدة التي كانت تملؤها روح المغامرة والاستكشاف فقد تزوج بفتاة تدعى"نصرا" لكن لم تكتمل فرحته إذ فوجئ بوفاة أبيه"عبد الله بن جميّل" مطمورا تحت قناة أحد الأفلاج حيث انهار عليه السقف،يظهر ذلك في قول الراوي:"**أقيم عرس كبير في القرية،تزوج سالم بن عبد الله القافر من نصرا بنت رمضان،بعد أن خطبها له أبوه،كان عرسا لم تشهد القرية له مثيلا منذ زمن،لأن القحط الذي اجتاح المكان قد أنسى الناس أفراحهم،بارك الجميع للقافر وكأنهكم يباركون لأنفسهم إذ استطاعوا أن يخروا أخيرا من ذلك الوجوم الذي احتل وجوه،(...)في صباح اليوم التالي تأخر الرجال الذين يعملون في تسقيف سطح القناة ولم يكملوا مهمتهم،فأبى عبد الله بن جميّل أن ينتظرهم حتى يكملوا ما تبقى وبدأ العمل(...)انهار السقف من بداية الفرضة حتى المكان الذي يعمل فيه عبد الله بن جميّل فأقام حاجزا بينه وبين ابنه،كان صوت انهياره وما رافقه من هجوم الحصى والرّمل والغبار قد شلّ حركة القافر،وهكذا حدث ما توقّعه أهل قرية المسيلة،وصار عليه أن يتصرف بسرعة لإنقاذ أبيه العالق في الدّاخل.(...)كان سالم بن عبد الله يسمع أنفاس أبيه وهو يلهث بحثا عن هواء يرطب جوفه،ثم سمع دقات قلبه تخبو حتى لم يعد يسمع لها حسا،عندئذ أيقن أن أباه قد أسلم روحه ورحل.**[1]،ليعود بذلك إلى متاهته النفسية فيصبح عالقا فيها برفقة صراع حاد مع نفسه وأفكاره المتكاثرة ،هي الرجوع إلى نقطة البداية مرحلة تملؤها مشاعر الفقد والغضب واللوم وتأنيب الضمير يصعب على المرء تجاوزها .

[1] زهران القاسمي:تغريبة القاقر،ص146.147.148.149.

"فقد إحساسه بالأشياء من حوله، تحول فجأةً إلى هادر من الغضب، رفع مطرقته و هوى بها على الصخرة، و عاود ذلك مراراً و تكرارا حتى ارتج المكان، و بدأ الغبار يتصاعد من الحجارة المتساقطة.تتالتالضربات، و تحول جسده كله إلى يدين لا هم لهما إلا ضرب ذلك الجاثم أمامه كأنه يضرب كل ما عاشه مُذْ كان طفلاّ، يهوي بالمطرقة على سجنه، على غيابه عل اليأس، من مُغادرته تلك العتمة، (...) لم يكن يعلم أن جسد الصخرة يتداعى أمامه، كان غائبا في غضبه، متحدا مع مطرقته في هدم كل الجدران التي واجهته، و هو الوحيد الغائب السجين المجوع، الجائع ، العطش...تداعت الصخرة أمامه، و انفتح الخاتم على النفق الطويل، فانطلق الماء بقوة و جرف معه كل شيء.

يمكننا و بصورة واضحة رؤية أن "سالم" يقاوم من أجل البقاء حيا بعدما سجن داخل أحد الأفلاج ، و تتفوق مرة أخرى غريزة البقاء لدى هذه الشخصية المتفردة مثلما كانت قوية و هو في بطن أمه، لكن ترك لنا الكاتب النهاية مفتوحة و هذا يؤدي بنا إلى نظريتين ، الأولى أنه تم جرفه مع الماء و بقي على قيد الحياة ثمّ عاد إلى زوجته التي انتظرته طيلة تلك المدة و انتصر الحب و البقاء ، أما الثانية و هي انتصار غريزة الموت فقد سلم من ماء البئر في المرة الأولى لكنه لم يسلم من ماء هذا الفلج ، حاصرته المياه طيلة حياته ، ولد داخل الماء و توفي داخل الماء ،لم يتمكن أحد من سماع صوته هذه المرة و اغتاله الماء كما اغتال والدته من قبل ، و تنتهي بذلك تغريبته .صور لنا الكاتب هذا المشهد بطريقة سينمائية درامية محترفة تجعل القارئ يعيش كل تلك المشاعر من الخوف، الفقد، الألم و المعاناة، طرح ثنائية الموت و الحياة بطريقة جديدة و متميزة جعلت من الرواية عملا استثنائيا،بدأ بهذه الثنائية لتكون حياة القافر كلها متعلقة بالماء

و أنهى بها الرواية لتكون نهايته مأساوية "حتى يولد المعنى و الإنسان الأعلى فالألم هو معيار الإنسانية و بمقدار قدرة الإنسان على التحمل تقاس إنسانيته."[1]

هذه هي النهاية التي انتقاها كاتبنا ليختتم بها روايته،نهاية تطوي معها صفحة من الواقع وصفحات من الأسطورة والخيال،تجعل القارئ يتعايش مع كل تلك الأحداث بطريقة دراماتيكية ،وهنا يمكننا أن نطرح سؤالا جوهريا:هل "تغريبة القافر"هي رواية اجتماعية مائية؟أم أنها تحمل في طياتها دلالات أخرى كالبحث عن معنى الوجود أو سببه أو هدفه مثلا؟

إن المتتبع لأحداث هذا المتن الروائي ولواقع المجتمع العربي عموما والعماني خصوصا، يرى أن الموت هي أرعب وأصعب شيء قد يفكر فيه أو يواجهه شخص ما.على عكس رؤيته للحياة فالإنسان العربي–نحن نخص بالذكر الفرد العماني فقط– يسعى لعيش حياة يملؤها السخاء والرخاء دون التفكير في موعد أو طريقة انتهاءها ،كما أن أغلبهم لا يرغبون بانتهائها ويتمنون لو أنهم ينالون الحياة الأبدية.كل هذه الاعتقادات وغيرها لم تأتي من العدم أو محض الصدفة بل هي أفكار تنبع من التراث العربي الديني والفلسفي والثقافي.فبالنسبة لفكرة الموت هوعبارة عن تجميع بين التأمل الفلسفي والإيمان الديني والتعبير الأدبي، و هو ما يعكس غنى وتنوع ثقافتنا العربية.أما فكرة الحياة فهي تختلف باختلاف الزمان ،ففي العصور الجاهلية تميزت الحياة بالبساطة والتركيز على البقاء والشرف والتأثر بالبيئة الصحراوية والأطلال،لكنها سرعان ما تغيّرت مع تقدم الزمان وتعدد الحضارات فقد أصبحت الحياة العربية تشمل مفاهيم أكثر تعقيدا كالأدب والشعر على سبيل المثال اللّذان يعبران عن مجموعة واسعة من الأفكار والمعاني والمشاعر ويُظهران القيم العربية كالجود والوفاء والنبل والشجاعة بصفة واضحة.أما في وقتنا

[1]عبير الكوكي: قراءة في رواية تغريبة القافر ثنائية الموت و الحياة ،مجلة حروف حرة ، العدد25، أفريل 2023

الحاضر فهي تتأثر بالتقاليد لكنها تسعى جاهدة لمواكبة التحديث،فهذا التوازن بين الحفاظ على التراث والانفتاح على الابتكار يشكل جزءا مهما من الهوية العربية الحديثة.وهنا يكمن مربط الفرس فالكاتب أراد أن يبلغ هدفا سميا خلف طرح هذه التضادية(الموت-الحياة)ليبين لنا أن لكل إنسان طريقة تفكير خاصة به ،كما يمكن أن يختلف شخصان في رؤاهما على الرغم من تشاركهما نفس المعتقدات الدينية والفلسفية والأدبية،إضافة إلى أنه أراد أن يوضح لنا أن الموت مثلما تكون مصدر خوف وعذاب للبعض،قد تكون مصدر رخاء وسعادة للبعض الآخر ،وهو نفسه ما ينطبق على الحياة أيضا.فيجب على الإنسان أن يدرك معنى الحياة ليعيشها على أتم وجه وبصورة مثالية.

في نهاية هذا الفصل يمكننا القول أن ثنائية الموت والحياة شكلت عمودا فقريا للعمل، حيث استخدمها الكاتب بمهارة لتعميق الفكرة الأساسية للرواية وتسليط الضوء على الصراعات الداخلية والخارجية التي يواجهها الشخصيات، تجسّد الموت في الرواية ليس فقط كنهاية حتمية للحياة، بل كوسيلة للتحرر والهروب من القيود المجتمعية والنفسية، في حين تمثل الحياة الأمل والإصرار على البقاء بالرغم من المصاعب.

أضفت هذه الثنائية عمقا فلسفيا للرواية، حيث نجح"القاسمي" في استكشاف المعاني الأوسع للموت والحياة من خلال سرد ممتع وغني بالتفاصيل، هذا التوظيف الفني لم يكن فقط لإبراز التناقضات، بل أيضا لزيادة فهم القارئ للطبيعة البشرية والتحديات التي تواجهها.

وبالتالي يمكننا أن نستنتج أنَّ ثنائية الموت والحياة في هذا المتن الروائي لم تكن مجرد عنصر سردي، بل كانت عنصرا جوهريا في بناء الرواية وأداء دورا رئيسيا في إيصال رسائل الكاتب وتحقيق تأثير عاطفي وفكري عميق على القارئ.

الفصل الثاني:

بلاغـــــة المـــاء في روايـــة "تغريبـــة القـــافر"

أولا: ماهية الماء L'eau:

1.الماء في اللغة.

2.الماء في الاصطلاح.

ثانيا:دلالة الماء في الشرائع.

1.في اليهودية.

2.في المسيحية.

3.في الدين الإسلامي.

ثالثا:رمزية الماء في الأساطير.

رابعا:الماء في الفكر الفلسفي.

خامسا: بلاغة الماء في رواية"تغريبة القافر

1.البعد التضادي للماء.

2.الشخصية المحورية في الرواية.

3.صور الماء في الرواية.

تمهيد:

في عُمر الزمان وتباين المكان يظل الماء رمزا للحياة ومصدرا في عُمر الزمان وتباين المكان يظل الماء رمزا للحياة ومصدراللتجددينبعث من بحوره اللامتناهية،يروي عطش الأرض ويغمرها بالحياة.إنه العنصر الأساسي الذي ينعم به الكوكب،ويتغذى منه كل مخلوق على وجه الأرض.

يتجلى الماء في تنوعه وعمقه،فهو يشكل أنهارا وبحيرات ومحيطات،يتراءى في قطرات الندى و تجمد الثلوج، ينساب في عروق الأشجار وخلايا الجسم الحي،إنه وسيلة للحياة ومصدر للتطهير،يعكس جمال الطبيعة وروحانيتها،ويمثل السِّر العميق للوجود.

تعتبر الديانات الكبرى سواءً الإسلام،المسيحية،واليهودية تجسيدا لعظمة الله وسمو قدرته في كل مكان،وفي هذا السياق يشكل الماء رمزا للإيمان والنقاء والتطهير،يعبّر غسل الذنوب بالماء في الطقوس الدينية عن تطهير الروح وتجديدها،مما يجعل الماء جزءا لا يتجزأ من الممارسات الدينية.

أما بخصوص دلالته في الفلسفة فهو يُعد أداة للتركيز على التجدد والشفاء والانسجام مع دورة الطبيعة،إذ يعتبره الفلاسفة مصدر الحياة والنمو ورمزا للتغذية الروحية والجسدية.

بفضل روحانيته وقدرته على التجديد و الإعمار يبقى الماء مصدر إلهام البشرية،ورمزا للأمل والحياة في وسط الصحاري وأعماق البحار،إنه الشاهد على تغيرات الزمان والحياة،يروي قصصا لا تنتهي عن البحث والتأمل في أعماقه اللامتناهية.

ونظرا لاحتلاله مكانة سامية في الفكر العربي عامة والعُماني خاصة،فقد قام الروائي"زهران القاسمي" بتوظيف هذا العنصر الهام في رواية"تغريبة القافر" بطريقة مميزة جديدة وغير مشابهة لكل من سبقها،أسلوب يجمع بين التراجيديا والأمل والانتصار على الصعوبات.

أولا: ماهية الماء L'eau:

1.الماء في اللغة:

لقد أجمعت المجامع اللغوية على أن الماء هو"الذي يُشرب والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللّام وأصله(مَوَهٌ) بالتحريك،لأنه يُجمع على(أمواه)في القلة و(مياه)في الكثرة."[1]كما جاء في لسان العرب أيضا أن"الماءُ و الماهُ واحد وهو الذِّي يُشرب."[2]

2.الماء في الاصطلاح:

يُعرفه "محمود شكري الألوسي" بأنه"مادة الحيوان و سيد الشراب وأحد أركان العالم، بل ركنه الأصلي فإنَّ السماوات خُلقت من بخاره، والأرض من زبده، وقد جعل الله تعالى منه كل شيء حي."[3] كما يُعرف أيضا بأنه"سائل عليه عماد الحياة في الأرض يتركب من اتحاد الهيدروجين والأوكسجين، بنسبة حجمين في الأول إلى حجم من الثاني ، وهو في نقائه شفاف لا لون له ولا طعم ولا رائحة فيه."[4]إنه شريان الحياة الذي خُلِق منه كل شيء فيها، تتجلى أهميته بشكل كبير في الأماكن التي يقل أو ينعدم فيها.

ثانيا:دلالة الماء في الشرائع:

1: في اليهودية:

الماء مقدس في الديانة اليهودية بنسبة كبيرة، حيث يظهر هذا التقديس بصورة جلية وواضحة في فكرها و مراسيمها الدينية أيضا، فهو يحمل عدة دلالات نذكر منها:

إسماعيل بن حماد الجوهري،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ج1،مادة(موه)،د . ت،تح:أحمد عبد الغفور عطار،دار الكتاب العربي،مصر.

[2] ابن منظور:لسان العرب، مادة(موه)

[3]محمود شكري الألوسي:الماء وما ورد في شربه من الآداب، أكاديمية المملكة المغربية، مارس1985م،ص3.

[4] مقاتل بن سليمان البلخي:الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تح: محمود شحاتة،د . ت،الهيئة المصرية العامة للكتاب،

- إنَّ الماء هو رمز للخلق" فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ.وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ."[1]
- و هو أيضا يحمل معنى الحياة"مُرَّ قُدَّامَ الْشَّعْبِ، وَخُذْ مَعَكَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَ عَصَاكَ الْتِي ضَرَبْتَ بِهَا الْنَّهْرَ خُذْهَا فِي يَدِكَ وَاذْهَبْ. هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الْصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ،فَتَضْرِبُ الْصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الْشَّعْبُ."[2]
- **كما يشير** أيضا على الطهارة وخاصة طهارة الجسد منها،ففي الديانة اليهودية يوصى بالغسل سبع مرات"أصبح الماء رمزا مقدسا للطهارة والتطهير عند اليهود فهم يمجدونه في عيد المظال ويجرون خلال سبعة أيام غسولات الماء مستعملين قوارير من ذهب."[3]
- جاء في سفر التكوين:"رَأَى الْرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ فِكْرِ قَلْبِهِ يَتَّسِمُ دَائِماً بِالإِثْمِ."[4]فحسب اليهود جاء طوفان نوح كعقاب إلهي لقومه الذين طغى بطشهم في الأرض.

2:في المسيحية:

أولت المسيحية عناية خاصة بالماء،فتتحدد أهمية الماء"في إقامة مراسم التعميد ولا يعوض بمادة أخرى.حيث تقول أساطير المسيحية أن المسيح(ع)تم تعميده بالماء الجاري(نهر الأردن)على يد النبي يحيى يوحنا(ع)فكان لهذا التعميد أثره الخاص والمهم بلاهوت المسيح والكنيسة من بعده.فيدخل الماء في عملية التعميد الكنسي وصلوات القربان المقدس عند المسيحيين كرمز للتطهير من الذنوب.[5]

---

[1] الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين2:1.

[2] الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج17: 5 . 6.

[3] أمال عربيد:الأساطير والطقوس المتشابهة في الحضارات القديمة والأديان،مجلة سطور،العدد5،يناير 2017،ص33.

[4] الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر التكوين6: 5.

[5] إبراهيم بن عرفة و جمال معتوق:الماء بين المقدس والطقوس الممارسة. دراسة مونوغرافية في منطقة بئر الذهب تبسة،مجلة أنثروبولوجيا،العدد5،جامعة البليدة2،الجزائر،ص14.

3: في الدين الإسلامي:

ورد لفظ الماء في القرآن الكريم ثلاثا وستين مرة، فهو لا يدل على الماء الشراب أو المطر فقط بل يتجاوزها إلى "دلالات مختلفة:

- **الأول:** يعني المطر لقول عزّ وجل:{ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُم لَهُ بِخَازِنِينَ}[1].
- **الثاني:** يعني النطفة أي أن الله تعالى خلق الإنسان من نطفة، يقول تعالى:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً و صِهْراً وَ كَانَ رَّبُّكَ قَدِيراً}[2]
- **الثالث:** يعني القرآن الكريم لقوله تعالى:" وَاللهُ أَنْزلَ مِنَ الْسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهَا الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"{سورة النحل/الآية 65}[3]."[4]
- الماء هو سبب الحياة وأصل الأشياء والموجودات،يقول الله تعالى:"وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"{سورة الأنبياء/الآية30}[5].يقِر الكاتب"عبد الحميد سلامة"في كتابه المعنَّون ب"قضايا الماء عند العرب قديما" بأهمية الماء في الحياة في قوله:"هومعجزة من معجزات الخالق ينزله من السماء بقدر و يسكنه في الأرض،ويجعله قسمة بين الناس، فمنه شراب ومنه شجر يحيى به الأرض بعد

---

[1].سورة الحجر، الآية22.

3"سورة الفرقان/الآية 54

[3]سورة النحل:الآية65

[4]ينظر: م . م صلاح الدين سليم حميد:لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص التنزيل . دراسة دلالية ،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ،المجلد:9، العدد:14،2010/06/4م،كلية العلوم السياسية . جامعة الموصل ،ص281.282.

[5]سورة الأنبياء:الآية30.

موتها ويخرج منها نبات كل شيء فتخضر الأرض وتنبت من كل زوج بهيج،ومن كل زوج كريم."[1]

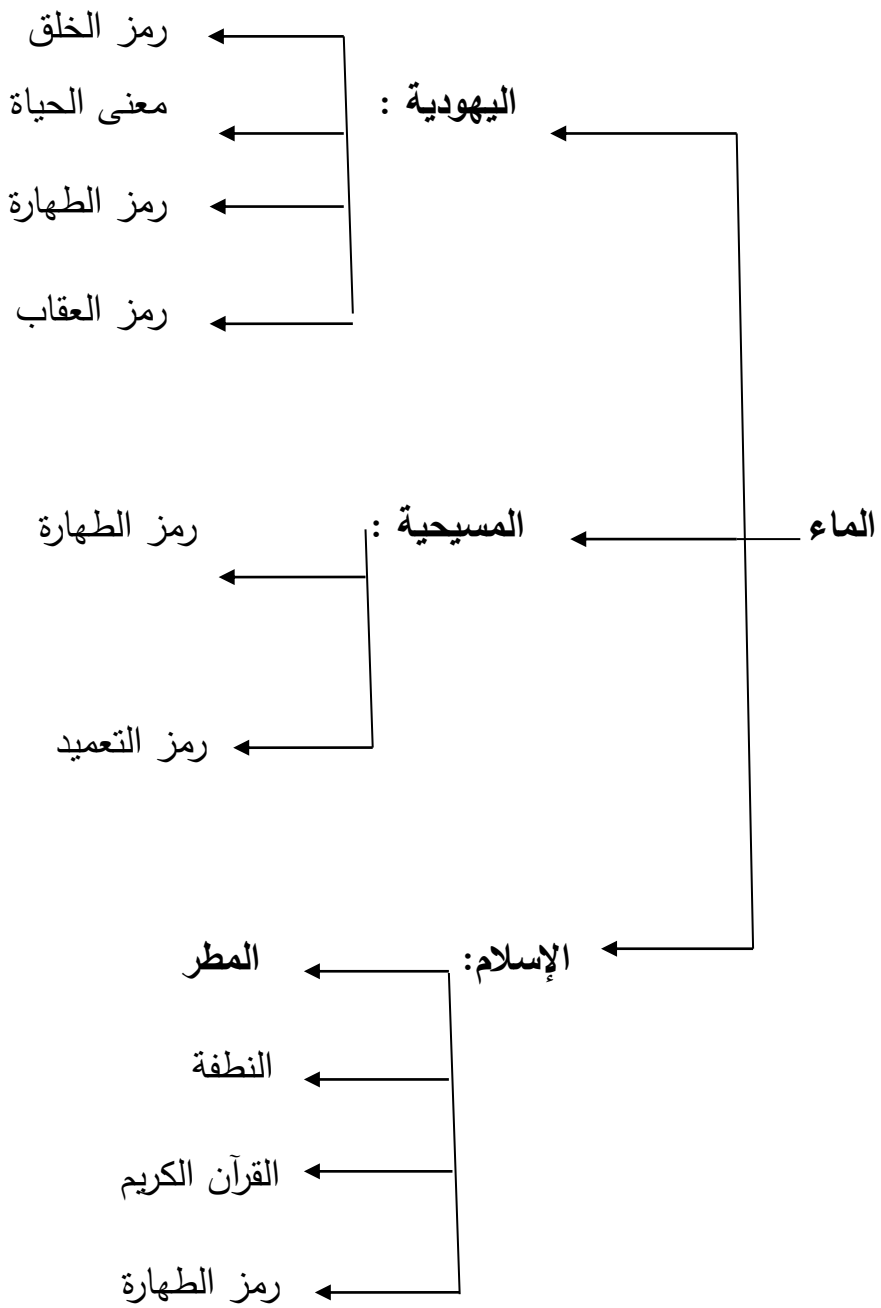
- يقول الله تعالى في مُحكم تنزيله الكريم:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَرُوا.} سورة المائدة/الآية06[2].يحث ديننا الحنيف على وجوب الطهارة ،والطهارة في الإسلام تتجلى في فعلي الوضوء و الاغتسال من الجنابة،فهو"رمز الطهارة الذي يؤكد على الغسولات الشعائرية التي يجب على المؤمنين إجراؤها قبل كل واحدة من الصلوات الخمس اليومية."[3]

و يمكن تلخيص كل هذا من خلال :

[1]عبد الحميد سلامة،قضايا الماء عند العرب قديما،دار الغرب الإسلامي،ط2004،1م،ص228. 229.

[2]سورة المائدة:الآية06.

[3]فيليبسيرنج،الرموز في الفن والأديان والحياة،تر:عبد الهادي عباس،داردمشق،ط2005،2م،ص254



شكل 1: مخطط توضيحي يلخص دلالة الماء في الدين .

ثالثا:رمزية الماء في الأساطير:

اتصل الماء منذ العصور القديمة بدلالات ثلاث هي الحياة ، الطهارة و البعث المتجدد ، و اتصل أيضا بالثواب و العقاب و هي معان مبثوقة في الأساطير القديمة، لقد اعتقد الإنسان الأول في قدسية الماء وآمن بقدرته و سخائه و بطشه فعلق المرء استيهاماته على هذا العنصر الطبيعي و اعتبره ملاذه الآمن فجعله رمزا دالا على الخلق و استمرار الحياة أو الطهارة الجسدية منها و الروحية.

استقر رأي الإنسان منذ العصور الغابرة على أن الماء هو أصل الخلق فاعتقد الفرس" أن الله بدأ الخليقة بالماء ثم أتبعها بالنار و النبات و السماء و الأرض ، ثم خلق الإنسان في اليوم الأخير"[1]،و آمن البابليون أن بداية الكون كانت بحرا و اعتبر المصريون القدامى أن الماء أصل كل شيء إذ رع إله الشمس انبثق من أعماق البحار العميقة المحيطة بالعالم .

و آمنت العديد من الحضارات أن الماء أصل الخلق و هو مبعث الحياة و التجدد ناهيك أن الفراعنة اعتقدوا أن العالم انبثق من المياه و أن الخليقة منها جاءت إذ يغنم فيضان النيل الأرض المصرية كل عام فتنتعش بالماء و تعود الخصوبة إلى الحياة النباتية و هكذا تتم دورة الحياة كالمياه و تقام لها الصلاة لاعتقادهم أن الماء هو نقطة المركز لدائرة التكوين بالنسبة إلى الأرض و الكائنات الحية التي تعيش عليها.[2]

---

[1]لبانة مشوح ،الماء في ثقافة الشعوب ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد59، الجزء 2،ص590..

[2]ينظر: زهرة الثابت، رمزيتا الماء و النار في الأساطير و الأديان ،مجلة نقد و تنوير،العدد الثامن،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، القيروان، تونس، 2021م،ص309،307.

*أوقيانوس Oceanus يشير إلى المحيط ، في الأساطير الإغريقية و هو إله ابن اورانوس ، لأقيانوس كإله في الميثولوجيا الإغريقية الكثير من الحكايات و القصص المختلفة.

رابعا:الماء في الفكر الفلسفي:

كان لنشأة طاليس على شاطئ البحر و مشاهدته لتصاعد الأبخرة و أفاعيل الضباب و لمعان البرق أثره الواضح في قوله إن الجوهر الأساسي الذي تكونت منه الأشياء هو الماء و علل قوله بما يلي :

أولا: الماء قوام على كل شيء فالكائنات تعتمد عليه فهو يرى أن النبات و الحيوان يتغذى بالرطوبة و لا يستطيع الحياة بدونها و الرطوبة أنما تنشأ من الماء .

ثانيا: عملية التولد نفسها فالحيوان و النبات في نظرة يولدان من الجراثيم الحية و هذه الأشياء رطبة والرطوبة من الماء

ثالثا: أن التراب يتكون من الماء و يتحول إليه و هذا الأخير شيئا فشيئا كما هو المشاهد في ماء النيل و في كثير من الأنهار .

(...) يرى بعض الباحثين أن كلام طاليس حول الماء و كونه أصلا للأشياء (الوجود) يرجع إلى الشعراء الأسطوريين الذين كانوا يردون أصل الأشياء إلى اوقيانوس * و هو النهر المحيط وثينتيس، مع اختلاف الأسلوب العقلي الذي دفعه إلى رد جميع الموجودات إلى مبدأ طبيعي واحد .[1]

خامسا: بلاغة الماء في رواية "تغريبة القافر":

"تغريبة القافر" للكاتب العماني"زهران القاسمي" تُعتبر رواية مائية اجتماعية بامتياز،فقد أتقن الكاتبفن استخدام الرمزية والتشويق لاكتشاف عوالم مختلفة داخل عالمه الروائي الخاص.يصور القاسمي عنصر الماء بشكل لافت ومثير،بأبعاد متباينة تمتزج

[1] ينظر:ثروت حسين سالم ، سلسلة من أعلام المدرسة الطبيعية تأملات في فلسفة طاليس ، مجلة الدراية، كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين بدسوق في جامعة الأزهر الشريف،ص 12،11.

فيها الرومانسية بالغموض والخيال.يُعبر الماء على عدة دلالات كالموت والحياة والحرية والهوية... وغيرها، الشيء الذي جعله يلعب عدة أدوار محورية في القصة بهدف انسجام القارئ مع الأحداث والشخوص،يستخدم الروائي عنصر الماء بشكل ممتع ومميز ومتعدد الدلالات:

1.البعد التضادي للماء:

تعتبر"تغريبة القافر"عملا أدبيا يُجسد البعد التضادي للماء،حيثيُظهر لنا الكاتب تضادا بارزا بين الماء وعدمه من خلال:

- **الماء كناية عن الموت والحياة:**استخدم "زهران القاسمي" الماء ككناية عن الحياة والموت ،ليُبيّن لنا كيف يمكن لعنصر واحد أن يكون مصدرا لتناقضات عديدة؟ ففي قول الكاتب:"**عادة ما تأخذ مريم إناءً لتملأه من الفلج الذي يستقي منه أهالي القرية،فتصعد الممر الجبلي حتى تبلغه فتأتي بما تحتاج إليه من ماء للّشرب والطّهي و التّنظيف وسقي الماشية**[1]وقوله أيضا:"**لكن الحروق سببت لها حّمى،فسقطت بسببها طريحة الفراش أسبوعا كاملا،ولازمتها عمتها كاذية بنت غانم وما فتئت تضع كمادات الماء على جبينها والمراهم اللازمة على الحروق حتى بدأت في التعافي قليلا.**"[2]و قوله أيضا:"**مدّت يديها إلى الماء فأخذت بعضا منه و نضحته على وجهها،كررت الفعل مرات ثم غسلت ساعديها ومسحت قليلا على رأسها كأنها ستتوضأ لصلاة ما.**"[3]وقوله كذلك:"**كان رأسه مملوءا بأصوات الزرع والغرس،فلم يسمع سوى خرير الماء وصوت المسحاة وهي تعزق الأرض.**"[4]يأتي الماء في هذه الحالة كمصدر للحياة،يتم استخدام الماء في مختلف الاحتياجات

[1] زهران القاسمي:تغريبة القافر،ص17.

[2] المصدر نفسه،ص20.

[3] المصدر نفسه،ص55.

[4] المصدر نفسه،ص63.

اليومية مثل الشرب والطبخ والتنظيف والسقي والطقوس الدينية كالوضوء على سبيل المثال، وهو ما يظهر جليا في المقاطع السابقة.في حين أننا نجده في مواضع أخرى كمصدر للموت عندما يؤدي إلى الغرق والجفاف،نلتمس ذلك في قول الراوي:"**غريقة ...غريقة..حدّ غرقان في طوي لخطم..**"[1] وقوله أيضا:"**تدلّت هابطة في البئر وإذ ثقل جسدُها على الحبل أفلتت يديها وسقطت في الهوّة العميقة.**"[2]وقوله:"**هبط الرّجال إلى قاع الفرضة وبدؤوا يحفرون الركام مسرعين كي يصلوا إلى الرجل الغارق في عمق الأرض.كان سالم بن عبد الله يسمع أنفاس أبيه وهو يلهث بحثا عن هواء يُرطب جوفه،ثم سمع دقات قلبه نخبو حتى لم يعد يسمع لها حسًّا،عندئذ أيقن أنَّ أياه قد أسلم روحه ورحل.**"[3]

- كما يدل أيضا على القحط المدقع والجفاف الحاد:"**جاء الصيف وذهبت مياه الينابيع والوديان،تبخرت ولم يبقى منها إلا آثارها في الصخر وفي مجاريها دلالة على ذلك الخصب الطويل الذي عاشوه غافلين،عندئذ شعر الناس بالعطش،جفّت حلوقهم قبل أن يروه حقيقة،فصاروا يشربون بغير انقطاع (...)امتد المَحْلُ إلى كل البقاع،لم يُبقِ بلادا ولا قرية قريبة أو بعيدة على حالها،استمر يمارس قسوته على الكائنات،وبدأت الحياة تنحسر وتتلاشى شيئا فشيئا،حتى إن الموت تفشى في الأرض فأخذ الأطفال والمواليد والأغنام وصارت الطيور تقع من عليائها ميتةً بفعل العطش.**"[4]
- بداية القافر ونهايته هي الأخرى نقطة مهمة يجب التنويه والتطرق لها،فبعد أن وُلد من جوف جثة هامدة وجد نفسه في فجوة يملؤها النُبذ والحرمان والضياع النفسي

[1] زهران القاسمي، تغريبة القافر، ص7.

[2] المصدر نفسه،ص26.

[3] المصدر نفسه،ص148 .149.

[4] المصدر نفسه،ص99.

والوجودي[1].عاش سالم في دوامة اللاشعور و اللامعنى غير مدرك لغاية وجوده لكن وبعد أن أثبت للجميع صحة موهبته باكتشاف الفلج وإنقاذ بلدته من الجفاف المدقع،بدأت روح الاستكشاف في التبلور عنده،فتحوّل من شخص يعيش حياته بلا معنى إلى شخص يحتل أهم مكانة في مجتمعه،تغمره روح الاكتشاف والمغامر لكن الأهم والأسمى من ذلك أصبح شخصا يسعى للحصول على إجابة عن أسئلة راودته طيلة حياته:من هو؟وما هو الهدف من وجوده؟.

استنادا إلى كل ما سبق يمكننا أن ندرك أن الكاتب قام بتوظيف ثنائيات ضدية ليخدُم متنه الروائي وتتمثل أبرز هذه الثنائيات في:(وفاة/ولادة)-(غيث/جفاف)-(بداية /نهاية)،كما أننا نلحظ أيضا ارتباط جميع هذه الثنائيات بالماء؛فسالم وُلد في جوف الماء الذي قتل والدته؛وبالنسبة لطوفان وجفاف القرية كان سببه الماء أيضا ؛أما بخصوص الثنائية الأخيرة فبداية القافر الغامضة كانت في الماء ونهايته التي أدركها أخيرا حدثت في خِضمه.

اختصارا لكل ما تمّ ذكره آنفا،يتراءى لنا سبب استخدام"زهران القاسمي" لهذه الثنائيات المتضادة ،وهو خلق رواية تجمع بين الواقع والخيال،الواقعية والغرائبية الواقعية والأسطورة،وتعكس تفاصيل الحياة في المجتمع العماني وتحمل رسائله الإنسانية،فهو بفعلته هذه يبرهن صحة المقولة"**الماء سر هذه الحياة**".

من خلال هذه المقاطع تتضح لنا العلاقة المعقدة بين الإنسان والطبيعة التي يُبرزها لنا هذا البعد التضادي للماء،وكيف يمكن لعنصر طبيعي واحد أن يكون مفيدا ومدمرا في الآن نفسه ،ففي كلتا الحالتين يُريد أن يُظهر لنا الكاتب أنّ الماء هو رمز محوري يحمل دلالات متضادة،فهو يُظهره كعنصر حيوي يمكنه أن يمنح الحياة وفي الوقت نفسه يمكن أن يكون دافعا للموت.هذا التضاد يعكس الطبيعة المزدوجة لهذا

[1] ينظر: الفصل الأول،ص45-49.

العنصر في الحياة اليومية، بحيث يمكن للماء أن يكون مصدر النقاء والوفرة،ومصدرا للهلاك والتدمير أيضا

استخدم القاسمي عنصر الماء لهدف نبيل وهو التعبير عن تجارب الشخصيات ورؤاهم المتجددة،فهو مرتبط بمصائرهم ارتباطا وثيقا ويساهم في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية لهذه الشخصيات.كما يدل هذا الاستخدام على براعة الكاتب في استخدام الطبيعة لإنتاج دلالات ومعاني جديدة ذات بُعد فكري واضح.

2.الشخصية المحورية في الرواية:

من هي الشخصية المحورية في القصة؟:إن أول ما يتبادر في ذهن أي قارئ لهذه الرواية للإجابة على هذا السؤال هو شخصية"سالم بن عبد الله"الملقب بالقافر،وهذا شيء طبيعي لأنها الشخصية التي ذُكرت في تقريب جميع أحداث هذا المتن الروائي،كما أن الكاتب سرد لنا سيرتها مركزا عليها من ولادتها إلى غاية نهايتها المبهمة،مع حرصه الشديد على تناغم وتعايش المتلقي مع هذه الشخصية بكل ما يملكه من عواطف.لكن في الواقع حكى لنا "القاسمي" قصة عجيبة غريبة منتقيا زمانا ومكانا مُحدّديْن،قصة تدور أحداثها حول شخصية محورية جديدة تتمثل في عنصر الماء.

تبدو هذه الفكرة في الوهلة الأولى نوعا ما من الخيال أو المجاز أو الكناية،لا يُمكن الأخذ بها أو الاعتماد عليها،لكن وبعد إعادة قراءة هذه الرواية قراءةً مُتَمعِنةً،تتجلى لنا صحة هذه الفكرة،فالكاتب أخبرَّنا أنَّ علاج صداع الأم الشديد كان ماءً،وهو ما تسَّبب في قتلها غريقة أيضا،كما أنَّ ابنها وُلد في جوفه كذلك،ومن ثَمَّ بدأ في نسج خيوط أحداثه،متطرقا إلى السُّيول والنِعم التي أصابت القرية مباشرة بعد وفاة"مريم" لدرجة أنها قامت بمحو جميع آثارها لشدة غزارتها،مواصلا في سرده إلى أن أخبرنا عن الجفاف المُدقع الذي أصاب البلدة بعد سنوات من الوفرة والرخاء هذا من جهة.

أما من جهة أخرى لم يُغفل القاسمي سرد حياة شخوصه،خاصة شخصية "سالم" الذي بدأت حكايته العجائبية منذ ولادته،فبعد أن وُلد من بطن جثة غريقة،بدأت رحلته مع موهبته بالرغم من أنه كان لا يزال في المهد،ففي أحد مقاطع التغريبة نلتمس قول الكاتب:"**استيقظت كاذية بنت غانم[1] على صوت المطر،فهرعت نحو الطفل الذي كان يبكي ولم تسمعه في غفوتها،وعندما اقتربت منه لاحظت شقّا في السَّقف تنزّ منه قطرات المطر فتتساقط على أذن الرّضيع.كان فراشه مبلولا،وقد امتلأت أذنه اليُسرى بالماء،فحملته وأضجعته على جنبه الأيسر ليخرج الماء من أذنه.**"[2]لتكون هذه من أوائل دلائل و سمات هذه الموهبة الفريدة والتي لم يُوليها أحد اهتماما ،كما أضاف الكاتب وصف حياته الصعبة ونفسيته المزرية إزاء تعامل الناس معه بطريقة قاسية،لكنه ورغم ذلك النبذ والتنمر اللّذان واجهاه طيلة حياته،استطاع وأخيرا أن يُثبت نفسه بين أهالي بلدته باكتشافه قناة الفلج المطمور،ليُدرك أنه ومن دون شكٍّ يوجد سبب لوجوده يجب عليه اكتشافه ليُكمل حياته بطريقة عادية،فتبدأ مغامرته في اكتشاف قنوات الأفلاج وتقفي أثر الماء برفقة والده.لكن وبعد الغوص داخل الرواية،نجدُ أن "عبد الله بن جميّل" قد تُوُفيَّ مطمورا تحت إحدى قنوات الأفلاج،وهي نفس الطريقة التي توفيَّ بها ابنه "سالم"كذلك،فقد كانت نهايته مثل ولادته في خِضم الماء.

إن هذه الأفكار ليست تلخيصا لهذا المتن الروائي وإنما هي حُججنا التي نقدمها لنُثبت صحة هذه الفرضية، فالقاسمي أظهر لنا أن الماء هو من يتحكم في الصَّيرورة السَّردية للأحداث،والتطَّورات التي تَّمُس الشَّخصيات بدءاً من بداية القصَّة ووُصولا إلى نهايتها. فشخصية"سالم بن عبد الله" هي الشخصية الرئيسية التي اختارها "زهران القاسمي" لتدور حولها القصة وتُرَّكز عليها الأحداث بشكل أساسي،أما بخصوص عنصر الماء فقد

[1]كاذية بنت غانم هي المرأة التي قامت بتربية القافر بعد وفاة والدته.

[2] زهران القاسمي:تغريبة القافر،ص31.

اختاره القاسمي ليكون شخصيته المحورية التي لعبت دورا مهما في تطَّور القصة وأثرت على مُجريات الأحداث.

الماء في حالتنا هذه يُعد رمزا قويا يتخلل مختلف جوانب الرواية،فهو لا يُستخدم كموضوع فحسب بل يُستخدم كذلك كشخصية تؤثر في الأحداث والشخصيات الأخرى.فهو يظهر كمصدر للحياة والموت،وكرمز للتجدد والتحول،وهذا ما أكسب الرواية أبعادا فلسفية وتأملية عميقة.

3.صور الماء في الرواية:

إن أكثر ما يميِّز روايتنا هو ورود عنصر الماء على عدة أوجه وصور مختلفة كالبئر والعين والوديان و السيول والأمطار و الفلج ...وغيرها من الصور المتعددة:

- **البئر:**

"آبار جمع بئر:وهي الثقب المستدير في الأرض،وأصله بالهمز،يقال بأرت بئراً،وبأرت بؤرة أي حفيرة،وهو في الأصل حُفيرة سُتر رأسها ليقع فيها من مرَّ عليها."[1] هو حفرة عميقة يقوم بحفرها الإنسان،يصل في نهايتها إلى جوف الأرض،حيث تنتشر آبار الماء بشكل كبير في مختلف بقاع الأرض،تسمى المياه التي تنساب فيها بالمياه الجوفية،يتم إحاطة الآبار بالطوب أو الحجارة أو الإسمنت للمحافظة عليها من الانهيار،للبئر مرادفات عديدة منها:الطوي،الجُب، الرس،-عين البئر...وغيرها.

وهو أولى صور الماء التي وظّفها القاسمي في روايته،ونجد ذلك في مواطن مختلفة منها:"**قامت عجوز مُعمِرة وحاولت اللَّحاق بالطّارش مُتكِئة على هراوَتها،وهبّ شابٌ**

[1] الأصفهاني،أبو القاسم،الحسين بن محمد الراغب:المفردات في غريب القرآن،تحقيق وضبط:محمد سيد الكيلاني،طبعة مسجد الأدهمي،القدس،فلسطين،ص 66.

قصيرٌ من استلقائه وخرج يَرْكُض ولم يتوقف إلا عند البئر."[1]وقوله أيضا:"**صيح بالناس في البلاد،عندنا غريقة في الطوي.**"[2]وقوله كذلك:"**عمق البئر يتطّلب أن يهبط فيها رجل ذو خبرة،لأنّ أيَّ انزلاق سيُودي بحياته،لا سيَّما أنّ قعْرها صخريّ وليس مستويا تماما،لذّلك كانت مهمة الطَّارش الثانية أن يُحضر متطَّوِعا ليهْبِط إلى القَعْر.**"[3]هذه بعض الأمثلة التي تمَّ ذكرها في الرواية،فالكاتب استخدم البئر بصفته عنصرا قويا في السرد،فهو أول مكان في الرواية الذي وقعت فيه الأسطورة الغريبة،أراد الكاتب أن يُظهر لنا البئر على عكس ماهو متعارف بين الجميع–البئر مصدر الماء وشريان الحياة في البيئة الصحراوية– ويُظهره بصفة جديدة،فماذا لو كان مكانا للموت والهلاك؟ وهنا يبدأ كل من التناقض والغموض في التكّوُن والتشّكل،فالبئر في هذه الرواية يبرز كمصدر للحياة يروي الناس ظمأهم،لكنه في الوقت نفسه يتجلى كمسرح لجريمة قتل دافعها الغرق وجانيها الماء.

- **العين:**

تُعرف أيضا بالينابيع، يقال:" **العيون:هي العين الجارحة، ويقال لمصنع الماء عين،تشبيها بها لما فيها من الماء،ومن عين الماء اشتق ماءٌ معين أي ظاهر للعيون،ومعين أي سائل.**"[4] وهي نقطة تدفق المياه الجوفية خارج الأرض، تعتمد على مصدر مائي ثابت كتغلغل الأمطار وذوبان الجليد تحت الأرض، قد تكون دائمة أو متقطعة،تتميز بمياه حلوة وعذبة يستخدمها الناس للشُّرب خاصة.

[1] زهران القاسمي:تغريبة القافر،ص7.

[2] المصدر نفسه،ص8.

[3] المصدر نفسه،ص10 .11.

[4] الأصفهاني،أبو القاسم،الحسين بن محمد الراغب:المفردات في غريب القرآن،ص355.

ونظراً لأهميتها فقد اعتمدها الكاتب في روايته،ونلتمس ذلك في قوله:" **وزارت عيون الماء حيث تُرمى قطع الحلوى وحول المنبع وهي تقول:**

-ياعين زولي العين عن شنة بنت آسيا.وتُكرر تعويذتها وهي ترمي الحلوى عند جنبات العين."[1]

وفي موضع آخر يقول القاسمي:"**لكن العيون التي تسكن الصخر هي التي تستهوي القافر،تلك الينابيع العذبة الساخنة القادمة من أعماق الأرض بتربتها الكبريتية البيضاء،تلك المياه التي لا أحد يعلم من أين تخرج عيونها الدائمة،قد تمر عليها السنون الممحلة والسنون الخصبة ولا تبدل شيءا من منسوبها،لا قليلا ولا كثيرا،تلك العيون التي لا تعرف مسكنا لها إلا الحجر المصقول.**"[2]كما يضيف القاسمي:"**وعندما جاء المَحْلُ وغارت المياه وذهب كلّ ذلك الخرير الذي يحيط بالمزرعة،ظل ذلك الينبوع الصغير ينبع من قلب الجبل،شاقا طريقه إلى الحوض من دون أن يشعر بوجوده أحد،وعندما جّفت المياه من القرية ولم تبق سوى العين التي تنبع في مزرعته أطلق عليها الناس عين الوعري.**"[3]

- **المطر والغيث:**

جاء في لسان العرب:"**المطر هو الماء المنسكب من السحاب**"[4] ويقال أيضا:"**والميم والطّاء والرّاء أصل يدل على معنيين:أولهما:الغيث النازل من**

---

[1] المصدر نفسه،ص53.

[2] المصدر نفسه،ص168-169.

[3] زهران القاسمي: تغريبة القافر، 103-104.

[4] ابن منظور:لسان العرب،مادة(م ط ر)،دار صادر،بيروت،لبنان،2000م،ص14.

السماء،ثانيهما جنس من العدو."[1]فالمطر والغيث يشيران إلى نفس الظاهرة،وهي تساقط الماء من السماء،لكنهما يختلفان من ناحية الاستخدام اللغوي والثقافي والديني.

أما في روايتنا فنحن نجد توظيفا واسعا لهذا المصطلح،مثل قول القاسمي:"**ثُمَّ أظلمت الدنيا وهبط الضباب على رؤوس الجبال،وبدأ المطر ينهمر بشدة وكأنّ السّماء قد دلقت نفسها على القرية.**"[2]وقوله:"**في الهزيع الأخير من تلك اللّيلة انهمر المطر ثانية،انسكبت سحابة كاملة على المكان وتدّفقت السّيول.كان الماء ينسكب من السماء دون رعود أو بروق،ولا رياح تصاحبه،لا شيء سوى ماء مسكوب على الأرض والحياة.**"[3]وأيضا قوله:"**صار النّاس في كلّ جمعة يخرجون لصلاة الاستسقاء،لعلّ السّماء تجود عليهم بالمطر،ولعلّ الله ينظر إلى حالهم ويغفر لهم ما أسرفوا في حقّه وحقّ أنفسهم.**[4]

- **السُّيول:**

هي عبارة عن مجار مائية تحدث نتيجة لتجمع مياه الأمطار الغزيرة على أسطح منحدرة تكون تربتها جافة أو صخرية ،بعد اندفاعها إلى أسفل المنحدر تكتسب المياه سرعة إضافية،فتصبح متجمعة مع بعضها البعض لتشق مجرى مائي أو عدة مجاري على حسب سرعتها،تتميز بقوتها وسرعتها واستمرارها لوقت قصير،تتسبب السّيول في إحداث في مجموعة من النتائج منها الإيجابية ومنها السلبية،تتمثل الإيجابية في دورها الفعال في تخصيب التربة،في حين تتمثل السلبية في خسائر مادية وبشرية وعمرانية ...وغيرها.وهو ما وضحه لنا الكاتب في روايته،فرغم السّيول الجارفة التي أصابت البلدة إلا أنّ الأهالي

---

[1]ابن دريد محمد بن محمد الحسن أبو بكر:جمهرة اللغة،مادة(م ط ر)،تر:رمزي منير بلعبكي،دار العلم للملايين،ط1،بيروت،لبنان،1987م،ص375.

[2] المصدر نفسه،ص43.

[3] المصدر نفسه،ص35.

[4] المصدر نفسه،ص99.

فرحوا بها ولم يعيروا ما قد تُخلفه من خسائر فيما بعد أي اهتمام،فهم الذين يفرحون بمجرد أن تغيم السماء،زاعمين بذلك أن كل ماء منّزل من السماء فيه الخير والبركة.

يتجلى توظيف القاسمي لهذه الصورة في قوله:"**مرّت أيّام وأسابيع،والنّاس يعملون ببطئ شديد في حفر الفلج،لقد توصّلوا إلى بعض قنواته لكّنهم لم يتوصلوا إلى أمّ الفلج،فالسّيول طمرت كلّ شيء،ولم يعودوا يعرفون أين يتجّهون بالحفر،لأن السّيل الجارف قد ردم القنوات الداخلية وملأها بحجارة كبيرة سدّت المجاري.**"[1]و"**لكن مع الجائحة الكبيرة التي مرت بهم قبل سنوات،طمرت السّيول الجارفة قنوات الفلج وفروعه وملأتها بالصخور والأتربة.**"[2]وقوله كذلك:"**استمر المطر في تدفقه الغزير أسبوعا كاملا واختفت السّحب وظهرت السّماء بزرقتها الناصعة تتوسّطها شمس وهاجة،فبدأ الناس في العودة إلى بيوتهم،لكنهم وجدوها قد تهدمت وتحولت أطلالا،ووجدوا السّيول قج جرفت بساتينهم و غمرتها بالأتربة والحصى واقتلعت أشجارهم وأسقطت نخلهم.**"[3]

- **الوديان:**

هي منخفضات مائية على سطح الأرض، تمتد بين الجبال والسهول، تتدفق فيها الأنهار والسيول، تتميز بخصوبة تربتها مما يجعلها صالحة للزراعةوالعمران.في عمان يتم التعامل مع الوديان من ناحية أنها بؤرة تجمع مياه الأمطار واستغلال أراضيها في الزراعة والعمران،كما يتم التعامل معها بصفتها مناطق طبيعية سياحية بدرجة كبيرة،ومن بين أهم الوديان التي تُمثل وجهات سياحية يقصدها محبي المتعة والمغامرة نذكر:

*وادي الشعاب(وادي الشعب) *وادي بني خالد *وادي الشاب

أما في روايتنا فيظهر لنا جليا توظيف الروائي للوديان"**بعد ساعة من الوقت هبط واديا تجري مياهه على حجارة الصفا وتتجمع في أحواض صغيرة ثم تتسرب في رملة**

[1] زهران القاسمي :تغريبة القافر،ص109.

[2] المصدر نفسه،ص138.

[3] المصدر نفسه،ص44.

مختلطة بحجارة مصقولة لتخرج من مكان آخر."[1] وفي قوله أيضا:"**زاد الوعري في توعره بعد أن فقد أهله ولم يبق له أحد،صار يهيم في البلاد ولا يقبل أن يتحدث مع أحد،يذهب كل يوم إلى الوديان العميقة ويختبئ بها،ثم يعود في عتمة الليل لينام في بيته."**[2]وقوله كذلك:"**لكن الأمر حدث معه ،وكان الطفل قد جاوز التسعة من عمره، يومئذ أخذه في رحلة إلى الوديان البعيدة بحثا عن بعض الحشائش،وفي ذلك الواد القاحل حتى من بعض الثرى جلسا ليستريحا تحت غافة كبيرة كثيفة الظل."**[3]

من خلال هذه الأمثلة يتضح لنا أنّ الوديان جزء لا يتجزأ من النظام البيئي في عمان،فهي تلعب دورا مهما في الحياة اليومية للسكان تتمثل أهميتها في:

-تعتبر المصدر الرئيسي للمياه،ففيها تتجمع مياه الأمطار، كما تساهم في تغذية المياه الجوفية

-توفر أراضي خصبة صالحة للزراعة خاصة زراعة النخيل.

-تقلل من خطر الفيضانات عبر تصريف مياه الأمطار بفاعلية.

الفلج أو الأفلاج:

الفَلَج: أي تقسيم الشيء إلى أقسام أو أجزاء ،و الفلج :تعني الماء الجاري ، و تستخدم أحيانا للدلالة على القناة التي تنقل المياه على السطح من مكان إلى آخر" .[4]

"يعتمد الإنتاج الزراعي في سلطنة عمان بالكامل على الري ذلك لأن معظم المناطق المزروعة لا تتلقى أكثر من 100-200 ملم من الأمطار سنويا، حيث توفر

---

[1] زهران القاسمي:تغريبة القافر،ص48.

[2] المصدر نفسه،ص94.

[3] المصدر نفسه،ص67 . 68.

[4] ينظر:د.حميد بن سيف النوفلي، أفلاج عمان حضارة مستدامة ، الجمعية العمانية الكتاب و الأدباء، ص13.

الأفلاج أكثر من ثلث كمية المياه المستخدمة في الزراعة. هذه الأفلاج هي أساس الحياة العمانية ، فالفلج كان المركز الذي تشكلت حوله أنماط الحياة في القرية العمانية .

تتواجد الأفلاج في الجزء الشمالي من سلطنة عمان متمركزة على سفوح و أودية جبال الحجر الشرقي و الغربي ، و تصنف الأفلاج إلى ثلاثة أنواع :

- الأفلاج الغيلية : مصدر المياه في الأفلاج الغيلية هو المياه السطحية الجارية في أعالي الأودية (الغيول) ، لكنها الأكثر تأثرا بالجفاف، إذ أن مياهها تنساب من خزانات جوفية ضحلة .
- الأفلاج العينية:هي الينابيع الطبيعية(العيون) ، تتميز باستقرار منسوب المياه فيه.
- الأفلاج الداوودية: مصدر المياه فيها هو البئر الأم (أم الفلج) و هي الأكثر شهرة و تمتاز باستقرار منسوب مياهها مثل الأفلاج العينية. "[1] فالأفلاج هي عبارة عن نظام فلاحي لري البساتين مرتبط بالحياة القروية في عمان ،تعمل على تصوير بلاد عمان في زمن قديم.

اعتمد "زهران القاسمي" كثيرا على الأفلاج في روايته،بهدف تسليط الضوء على أهمية الماء والتعريف بالبيئة الطبيعية العمانية،حيث نجده ذكرها في أكثر المقاطع وفي مختلف فصول الرواية، مثل قوله:"**وسرعان ماأعُيد استصلاح الفلج،فرممت جدرانه وفرضاته التي بلغ عددها اثْنَتَيْ عَشْرَة فرضةً اتخذت كل واحدة منها شكلا أسطوانيا يبدأ من سطح الأرض وينتهي بقاع الفلج،وخرج الماء متدفقا يملأ سواقي الفلج،فسرى في ضواحي القرية حتى بلغ أواخرها،وفاض عن الحاجة فتركوا بعضه يسيل في الوادي،وبذلك بدأت البرك بالامتلاء وعادت الحياة إلى القرية.**"[2]كما يضيف

[1] ينظر: د.عبد الله الغافري ، الأفلاج العمانية: منظومة حياة مهددة ، كلية الزراعة و العلوم البحرية ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان ،ص2،3.

[2] زهران القاسمي: تغريبة القافر،ص133.

القاسمي:"**انبثق الماء في فلج قرية المسفاة وسرى في قنواتها فعادت تنبض بالحياة،وانتشر صيت تلك القرية في الأقاصي،فتوافد عليها البدو الرحّل، ولم يطلبوا شيئا سوى أخذ قليل من الماء لشربهم ولسقي ما تبقى من إبلهم.**"[1] وأيضا قوله:"**تذكّر مرور الفلج تحت تلك الصّخرة تماماً،ثمّ استمراره بمحاذاة الوادي على ضفّته حتّى يغيب في الأرض،تذكّر جدرانه المبنيّة بالصّاروج،وهي تمتد متعرّجة مع انحناءات المكان.**"[2]تُعد هذه الأمثلة من بين عشرات المقاطع التي ذكرها "زهران القاسمي" في متنه الروائي،فقد سعى إلى تلقين عمان والبيئة العمانية إلى الناس–نقصد بالناس الأجانب أي الذين لا يحملون الجنسية العمانية ولا يعرفون عمان وبيئتها أي لا يعرفون شيئا عنها–كما عمل على كشف وجود علاقة بين الماء والإنسان العماني،وتبيين أن الأفلاج هي جزء مهم في التراث العماني تلعب دورا مهما في الحياة اليومية.

[1] المرجع نفسه،ص136.

[2] المرجع نفسه،ص108–109.

في نهاية هذا الفصل يمكننا الوصول إلى خاتمة جوهرية قدمها لنا "زهران القاسمي" على طبق من ذهب،فالماء لم يكن مجرد عنصر طبيعي استعمله عن هباء،بل كان رمزا حيا ينبض بالدلالات،فنجده تارة يكون مصدرا للحياة والنماء وتارة أخرى يكون مصدرا للموت والهلاك والدمار،فقد استخدمه القاسمي ليُبرز طبيعة العلاقة بين الإنسان وبيئته،ولعكس الواقع المعيشي والغرائبي،ولفهم الحياة والموت بصورة أوضح وأعم.

بعد هذه الدلالات المتعددة التي يحملها عنصر الماء في روايتنا،يمكننا الجزم بأن القاسمي تعمد استعماله بطريقة سردية غلبت عليها الفلسفة،فالماء لم يظهر كمجرد عنصر سردي كغيره في الرواية،بل كان شخصية محورية قائمة بذاتها،لها دور بارز في تشكيل مسار الرواية وتطور الشخوص والأحداث.

الفصل الثالث :

انسيابية الأيديولوجيا بين ثنايا السرد في رواية تغريبة القافر

تمهيد.

أولا: ماهية الأيديولوجية Idéologie

ثانيا: انسيابية الأديولوجيا بين ثنايا السرد في الرواية

1. اللهجة العمانية
2. توظيف التراث العماني والأساطير
4. اللغة
5. السرد
6. الزمكانية في الرواية
7. البوكر

تمهيد:

تُعتبر الأيديولوجيا واحدة من القوى الأساسية التي تؤثر على تشكيل السرد في الأدب والفن، انسيابات الأيديولوجيا تُشير إلى الطريقة التي تتسرب بها المعتقدات والأفكار السياسية والاجتماعية والدينية إلى النصوص السردية، مما يعكس ويوجه الرؤى والتصورات التي يطرحها العمل الأدبي أو الفني.

تُعد رواية "تغريبة القافر" من الأعمال الأدبية البارزة التي تستكشف جوانب متعددة من الحياة والمجتمع، مستخدمة اللغة والرمزية بطريقة غنية.ينسج"زهران القاسمي"أفكاره ومواقفه حول العديد من القضايا، مثل السلطة، الدين، الهوية والانتماء، ويُمكن ملاحظة تأثير هذه الأيديولوجيات على الشخصيات وتطورها عبر الأحداث.

في هذا الفصل سنستكشف كيفية وطريقة تفاعل الأيديولوجيا مع السرد، وكيف يمكن للنصوص أن تكون ووسيلة لنقل الأفكار الأيديولوجية بشكل مباشر أو غير مباشر. سنناقش أيضا دور الكاتب في تشكيل هذه الانسيابات، وهل يكون الكاتب واعيا دائما بالأيديولوجيا التي ينقلها؟ أم أنَّ بعض هذه الانسيابات تتسلل بشكل غير واعٍ إلى نصوصه؟كما سنلقي الضوء على الأدوات السردية التي تستخدم لتعزيز الأيديولوجيات السائدة من بينها:الحوار، المكان والزمان السرديين، اللغة، الحبكة...وغيرها.

أولا: ماهية الأيديولوجية Idéologie

استخدم مصطلح" الأيديولوجية "أول مرة من طرف المفكر "ديستوت دي تراسي"1754 م –1836 في كتابه "مشروع عناصر الأيديولوجيا " سنة م1801 ، حيث أن أصل الكلمة لاتيني ينقسم إلى قسمين Idéo وتعني الفكر، و Logie وتعني علم، أي "علم الأفكار "، وقد تأثر دي تراسي بنظرية الفيلسوف الإنجليزي " جون لوك " التجريبية كما تأثر بمذهب الفيلسوف الفرنسي " كوندياك " الذي يرد كل معرفة أو إدراك إلى أصول حسية بحتة."[1] و استخدم "دي تراسي" كلمة أيديولوجية بمفهوم أوسع و أشمل باعتبارها علم لدراسة الأفكار و المعاني كما هي في الواقع المحدد تاريخيا، ليست الأفكار في ذاتها ،بل لذاتها في معانيها و في تعبيراتها و أساليبها و تظاهراتها و استخداماتها و دلالاتها في مجتمع معين، و في مواقف اجتماعية محددة و في سياق حضاري ثقافي محدد."[2]

إذن فيعتبر "دي تراسي" أول من استخدم مصطلح الأيديولوجيا، و الذي يعني علم الأفكار، و قد استخدمها بمفهوم أعمق و أوسع، بمعنى أن الأفكار هي لذاتها في معانيها و أساليبه محددة في سياق ثقافي.

كان اهتمام "دي تراسي" ينص على إيجاد مبحث يهتم بدراسة الأفكار أو الوعي الذي يحمله الإنسان دراسة علمية مقننة بعيدة عن تلك التصورات الكاذبة التي وصفها "غورفيش" في كتابه "الأيديولوجيا و البناء الفكري الإيديولوجي"[3]،إن هدف الأيديولوجيا من وجهة نظره هو تأسيس منهج سليم لا يرقى إليه الشك، يمكن بواسطته للأفكار

---

[1] أحمد أنور ، النظرية و المنهج في علم الاجتماع ، منشورات جامعة عين شمس ، لقاهرة ، مصر ، 2002،ص03.

[2] نبيل رمزي، سوسيولوجيا المعرفة ،جدل الوعي و الوجود الاجتماعي ، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية ، مصر ،2001،ص18.

[3] جورج غورفيش وآخرون ،الإيديولوجيا، دفاتر الفلسفة ،تر:محمد بسيلا و عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقا، المغرب ،ط1، 1999، ص40.

الصحيحة أن تحدد بشكل علمي بغية استخدام العقل في إدارة شؤون الإنسان بما يخدم المجتمع ككل، بمعنى آخر أن مؤسس الأيديولوجيا يشاطر حركة التنوير هدفها الجوهري، إذ يلقي الضوء على الجوانب المظلمة للفطرة و الحياة خدمة لمصلحة الجميع. فقد اعتبر منهجه في علم الأفكار المقياس النهائي الحقيقي الوحيد لقدرة الإنسان الذهنية. و في اعتقاد "دي تراسي "انه مادام إسحاق نيوتن قد اكتشف قوانين الجاذبية ، فما المانع من اكتشاف القوانين التي تحكم الفكر البشري؟[1]

حاول "دي تراسي" إنشاء منهج يعالج من خلاله الأفكار و الوعي و يدرسه دراسة معمقة، و يمكن أن نقول أنه ينافس حركة التنوير لأنه يسلط الضوء على الجوانب الغامضة و المظلمة .

و هناك عدة تعريفات للأيديولوجيا فقد عرفها "بارسونز" بأنها نسق من الأفكار التي لها أصل إمبريقي تلك التي تمنح الإنسان تفسيرا للطبيعة الإمبيريقية للجماعة و المواقف التي تقف فيها والعمليات التي نمت بها حتى حالتها الراهنة ثم الأهداف التي يتوجه إليها الأعضاء جماعيا وعلاقتهم بمسار الأحداث في المستقبل"[2].

وقد استعمل "لوكاتش" مفهوم الأيديولوجيا بالمعنى نفسه الذي كان لينين قد عرض له عندما حاول أن يناقض الصراع بين (البناء العلوي الفكري للبرجوازية و البناء العلوي للبروليتاريا) على أن الأول(بسبب سيطرته الاجتماعية) هو الذي جعل من الثاني تابعا له وكان الغرض من نظريته هذه ليس الحط من الأيديولوجيا البروليتالية وإنما البرهنة على أن الصراع الطبقي في الميدان هو أكثر فاعلية من الصراع على الصعيد الأيديولوجي"[3].

---

[1] مجموعة من المؤلفين: أيديولوجيا السياسة، تر : عباس عباس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ،2009م،ص06.

[2] الزبير بن عون: ماهية الأيديولوجيا، جامعة عمار، الأغواط، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص25.

و يعرف "جي روشيه" الأيديولوجيا بأنها نسق من الأفكار و الأحكام ظاهر و منتظم عموما يستخدم ليصف و يفسر و يشرح أو يبرر وضع مجموعة أو جماعة من الناس، و الذي يستوحي من مفاهيم القيم بشكل عام، و يحدد اتجاه الفعل التاريخي لهذه المجموعة أو لجماعة من الناس"[1].أما المفكر الماركسي الإيطالي "أنطونيو جرامشي" فقد ذهب في تحليله للمفهوم اللينيني للأيديولوجيا، إذ قال أن البناء العلوي الفكري لم يكن مفهوما مجردا يأتي من نفسه كامتداد للطبقة. و إنما من خلال جماعة من أعضاء الطبقة المرتبطة بها عضويا، و هذه الجماعة هي المثقفون فلا مثقفين في رأيه إلا إذا كانوا مثقفين طبقيين ، و هؤلاء المثقفون مسجلين لإدارة جماعية، و معبرين عن اتجاه واضح في تاريخ طبقتهم."[2]

أما ما نجده في كتاب "الأيدولوجيا و اليوتوبيا" لـ"كارل منهايم" فيما يخص الأيديولوجيا أنها :" لفظة ترتبط في أذهان معظم الناس بالماركسية وتتحدد ردود فعلهم تجاهها إلى حد كبير بهذا الارتباط، لذلك من الضروري أن نقرر أولا أنه رغم أن الماركسية ساهمت بالكثير في العرض الأصلي للمشكلة، فإن الكلمة ومعانيها أبعد غورا في التاريخ من الماركسية، كما أنه قد ظهرت لها منذ ظهور الماركسية معان جديدة ، اتخذت طابعا مستقلا عن الماركسية"[3]. يعني ذلك أن" كارل ماركس" استخدم المصطلح للإشارة إلى منظومة الأفكار التي يفهم الناس من خلالها عالمهم،فربط "كارل منهام" الناس و إيديولوجياتهم بالماركسية، فالأيديولوجيا و الفكر يعتمدان على الظروف المعيشية و الطبقة الاجتماعية للشخص.

---

[1] المصدر نفسه، ص25.

[2] أحمد أنور: النظرية و المنهج في علم الاجتماع ،ص5.

[3]كارل منهام: الإيديولوجيا و اليوتوبيا ، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ،تر محمد رجا عبد الرحمان الديريني، جامعة الكويت، كلية الآداب و اللغات، شركة المكتبات الكويتية،ط1، 1980،ص129.

ما نلاحظه من خلال كل هذه التعريفات أن مصطلح الأيديولوجيا غير مستقر على مفهوم و تعريف واحد فكل فيلسوف كيف يعرفه و يراه من منظوره فمنهم من يراها أنها منظومة الأفكار، و منهم من يرى بأنها نسق من الأفكار التي لها أصل إمبريقي ، و يبقى لهذا المصطلح عدة تعريفات أخرى.

وفي التراث العربي يوضح "عبد اللهالعروي" أن "الأيديولوجيا" كلمة دخيلة على جميع اللغات الحية وهي تعني لغويا في أصلها الفرنسي علم الأفكار لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، إذ استعمرها الألمان وضمنوها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية ولذلك فليس من الغريب في مثل هذه الحالة أن يعجز الكتاب العرب عن ترجمتها لكلمات مرضية، إن العبارات التي تقابلها منظومة فكرية عقيدة تشير فقط إلى معنى واحد من بين معانيها.

ويوضح "العروي بقوله: " أننا عندما نقول إن هذا الحزب يحمل "أيديولوجية" ونعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي ينوي تحقيقها على المدى القريب والبعيد ، ويكتسب هذا الحكم في استعمالنا الحالي صيغة إيجابية لأن الحزب الذي لا يملك أيديولوجية هو في نظرنا حزب انتهازي لا يهمه سوى استغلال النفوذ والسلطة، كما أننا عندما ندرس أيديولوجية عصر النهضة نعني بها النظرة التي كان يلقيها رجل عصر النهضة إلى الكون و المجتمع والفرد والتي يندرج تحت قواعدها العامة كل حكم صدر في ذلك العصر، إننا لا نقارن نتائج علماء النهضة بالعلم المعاصر بل نربطها بفلسفة وأدب وفن وسياسة العهد المذكور،فأيديولوجية عصر من العصور هي إذن الأفق الذهني الذي كان يحدد فكر إنسان ذلك العصر، وعندما نحكم على أيديولوجية عصر النهضة فإننا

نحكم عن أيديولوجيا تتصل بواقع معين، فمفهوم الأيديولوجيا إذن مرتبط بالمجتمع والتاريخ ومفهوم الأيديولوجيا إذن لا ينتعش ويتبلور إلا في إطار تاريخ اجتماع."[1]

ثانيا: انسيابية الأديولوجيا بين ثنايا السرد في الرواية:

تُعد رواية "تغريبة القافر" نموذجا مميزا لتوظيف الأيديولوجيا في الرواية العربية ، فهي تعكس رؤية الكاتب النقدية للمجتمع والعالم معا، من خلال التركيز على القضايا الاجتماعية والبيئية والثقافية، مما يجعلها إضافة قيمة إلى الأدب العربي المعاصر ، وتتجلى مظاهر الأيديولوجيا في روايتنا من خلال:

1. اللهجة العمانية

إنَّ أول ما يلفت الانتباه عند قراءة هذه الرواية هو ورود جميع الحوارات التّي دارت بين الشخصيات بلغة جديدة إن لم نقل بلهجة جديدة نوعا ما، فالقاسمي قام بتوظيف اللهجة المحلية العمانية في حوارات الشخوص بهدف إضفاء نوع من الواقعية والأصالة على الأحداث، يظهر هذا التوظيف في عديد مقاطع الرواية، فنذكر على سبيل المثال:"**بو فبطنها أولى به الدّفن.**"[2]، وقوله كذلك"**كلّ حدّ يسقيه الله فهالدنيا من روح إنسان ثاني ،كلّ حدّ عطشان الين يلقى لماه.**"[3]وفي موضع آخر يقول القاسمي على لسّان "الشايب محمد بن سلطان":"**محد يتقدملك للكلام،نبغاك ترفع راسنا بكلامك السنع،والله أعطاك لسان يقطر عسل، ونحن فوّضناك تكون المتكلّم عن البلاد.**"[4] . ورغم صعوبة فهم بعض الكلمات لمحليتها الشديدة إلا أنها تفهم من السياق وساعد هذا الحوار القروي في

[1] الزبير بن عون،ماهية الأديولوجيا،ص27.

[2] المصدر السابق،ص14.

[3] المصدر السابق،ص30.

[4] المصدر السابق، ص34.

الدخول في جو الرواية ومعايشة البيئة معايشة تامة، حتى أن القارئ يجد نفسه تلقائيا يقرأ هذا الحوار بالطريقة الخليجية.

أضاف الروائي العديد من المصطلحات الجديدة التي لو لم يشرحها داخل الرواية لما علم أحد معناها مثل: الطوّي هو البئر، البيْدار هو الفلاح، الطارش هو المنادي الذي ينقل الأخبار و الرسائل.كما أنه ذكر أسماءً لأنواع من الأشجار مثل: السوقم، الأمبا ، الغاف، النخيل،الحبن، الحلف، السمر، الأثل...وغيرها الكثير والكثير، و وبعضا من الأدوات التي لم نكن نعلمها مثل:مطرقة البتك، المناجير، ميسمه، الرحماني، البخشة... كما تعرفنا على عادات وتقاليد المجتمع العماني من:خرز، بخور، نذور، عين الحسد...وغبرها، لكن وعلى الرغم من صعوبة بعض المصطلحات إلا أنها أضفت لمسة واقعية تقرب القارئ من الشخصيات و الأحداث.

ساعدت اللهجة العمانية في تصوير البيئة المحلية والروح العامة للحياة في عمان،وهو ما جعل القارئ يشعر بأنه جزء من تلك الأحداث وتلك البيئة، كما أنها تمنح الرواية مصداقية حقيقية، كما أنها تُعزز الهوية الثقافية والاجتماعية والبيئية للرواية.وفي مُجمل حديثنا نخلص إلى أنَّ تخصيص عمان في الرواية يُنمي من مصداقيتها ويُعطيها طابعا ثقافيا غنيا، مما يزيد من جاذبيتها لدى القراء باختلاف انتماءاتهم.

2. توظيف التراث العماني والأساطير

لا تخلو رواية "تغريبة القافر" من مظاهر التراث و التاريخ و المجتمع العماني،و يمكننا

ملاحظة ذلك بشكل واضح في جميع أحداث الرواية فلا ننسى أنها رواية تصف إحدى القرى العمانية، حيث وصف فيها الكاتب جميع خصائص الحياة الشعبية المنتمية إلى القرية الريفية في سلطنة عمان، فحاول تقريب صورة مجتمعه إلى القارئ بأوضح ما

يكون و إيصال ثقافة هذا الشعب داخل سطور الحكي و بين ثنايا السرد، و قدم لنا بعضا من المعتقدات و الأساطير الشعبية.

يدخلنا "زهران القاسمي" داخل عالم واقعي سحري يندمج فيه الواقع و الخيال، فالأسطورة جزء لا يتجزأ من ثقافة القرية، و طبعا هذه الأساطير تعود إلى التراث و التاريخ العماني كأساطير الجن، فأهالي هذه القرية يصدقون تصديقا تاما بالجن فهم يربطون وينسبون أيَّ شيء يحدث لهم بالجن، و يمكن أن تتضح الصورة من خلال قوله:"**يكلموه أهل التحت.وقالوا:تو تأكدت أنه ود الجن**"[1]المقصود بأهل التحت هم "الجن" فإيمان أهل عمان بالجن يمكن أن يرجع إلى عدة عوامل وأسباب منها :

- الجذور الثقافية و الدينية في الثقافة العمانية ، فينظر إلى الجن على أنهم مخلوقات غيبية مذكورة في القرآن و السنة و لهم تأثير على العالم المادي ، الإيمان بالجن جزء من العقيدة الإسلامية ، حيث يعتقد أن لهم القدرة على التأثير على الحياة اليومية .
- التقاليد و القصص الشعبية أيضا تلعب دورا كبيرا في تعزيز هذا الإيمان، حيث تنتقل الأساطير عن الجن من جيل إلى جيل.

يحكي "القاسمي"حكاية إحدى شخصيات الرواية التي تتوهم أن الجن استبدل ابنها "**(...) في سن السابعة مرض سلام بن عامور و سقط طريح الفراش، مرض مرضا شديدا، فاحتارت أمه و عجزت عن معرفة ما عليها أن تفعله ليشفى، حتى قالت إحداهن:**

[1]زهران القاسمي، تغريبة القافر، ص73.

-جاينته مربيته.

و لا علاج لأمّ الصّبيان إلّا بالقراءة و تعليق الحروز،فلجأت أمّ سلام إلى الشّايب سويدان بن حسين فقرأ لها في فنجان به ماء أصفر و طلب منها أن تسقيه ولدها ، و لكنّ طفلها ظلّ يهذي و الحمّى تشتد به ،فعادت إلى الشّايب سويدان و قد حملت طفلها على كتفها.

وضعته بين يديه و هي تبكي و تقول :

ولدي بتشله مربيته ، ولدي بيموت و لا نفع معه دوا و لا محو.

مدّده أمامه و بدأ و مرّر يده على الجسد الصّغير، و الطّفل ينتفض و يهذي ،و أنفاسه تخرج ساخنةً ، ثم قال للأم:

اغسليه بماء الفلج."[1]توهمت أم سلام أن مرض ابنها متعلق" بأم الصبيان" ، فأم الصبيان أسطورة مخيفة مورثة في جنوب الجزيرة العربية "بل السائد أنه إذا ذكر أم الصبيان تجد الناس بطريقة تلقائية يقولون" نعوذ بالله من الشيطان" ، ما يدل على بشاعتها في المخيلة الجمعية لسكان الأجزاء من الجزيرة العربية ، و ليس هذا الشبح الأسطوري هو وحده المخيف و لكن لها مرادفات أخرى مثل "عبلهْ" " و أم الصّليف" و "أم الصكاع" إلا أن أم الصبيان هي التي تستأثر بالخوف و الهلع منها."[2]

يؤكد" القاسمي " و يشدد على مدى أهمية مثل هذه الأساطير و الحكايات في المنظور الفكري لأي أمة من الأمم و حاول إيصال صورة لأسطورة مورثة من القدم في المجتمع

[1] المصدر السابق ،ص84.

[2]سميرة بنت ضيف الله أحمد الكناني الزهراني ، العجائبية في الرواية السعودية رواية أم الصبيان و المنهوبة ، مجلة الساج، 2022م، ص23.

العماني و قرية " المسفاة" جزء من هذا المجتمع، و نلاحظ أيضا في الرواية:" **(...)بعد مدّه عاد زوجها إلى البيت، و سألها عن الطّفل الّذي تركه صغيرا :**

وين سلام؟

نظرت في عيونه، و إذا فيهما انكسار صريح ، انكسار المهزوم في حروب لا ناقة له فيها و جمل، فلم تزد في إجابتها عن كلمتين:

سلام غاب .

شهق الرجل و كأن آخر شيء توقعه أن يكون وحيده قد مات. ثم تمتم مستوثقا:

مات؟

فأجابته صبيحة و قد غلبتها دموعها:

صابته أم الصبيان ، أخذته معها.

و في تلك اللحظة دخل الطفل من الباب و سألها زوجها :

من هذا الولد؟

فطفق تصرخ و هي تشير إلى سلام :

هذا ما ولدي ، ولدي أخذوه الجن ،هذا ولدهم ، بدلو ولدي و خلولي هذا."[1]نرى أن هذه الشخصية تؤمن بمعايشة الجن للإنسان و قدراتهم على استبداله بواحد منهم ، و لهذا المعتقد امتداد في نسيج الثقافة الشعبية متوارث عبر الأجيال فنلاحظ خوف الناس الشديد من الجن و ذلك يعود إلى كثرة الأساطير المخيفة التي توارثوها و أكثر الناس التي تسرد هذه الخرافات هم كبار السن . و بما أنهم يؤمنون بالجن فبطبيعة الحال سيؤمنون بالسّحر

[1] زهران القاسمي ، تغريبة القافر ،ص92،93.

و سيخافونه تبعا لما يرويه التاريخ ، فنلاحظ من خلال قول القاسمي في روايته و هو يحكي حكاية والد بطلنا "القافر" عبد الله بن جميل :" **أما عبد الله بن جميّل فلقد سَّماه الناس بالمغيِّب ، و اخترعوا حكاية مفادها أن السَّاحرة أكلت زوجته و استحوذت على بيته و ولده ، وأنه يعمل عندها كحيوان مطيع تأمره بين الفينة و الأخرى بأخذ ضحاياها إلى مغاوِر الجبال، و هناك تنفرد بهم و تأكلهم ضحية إثر ضحية.**" أدخل الكاتب داخل الرواية خرافات الساحرات تبعا لما ورثه أهالي القرية من معتقدات و توَهمات عن الساحرات و عودة إلى الحكايات التي يسمعها الناس عبر المشافهة فهذه الخرافات و الأساطير لا يكتبها التاريخ بل ينقلها الناس من شخص إلى آخر.

من خلال هذه الرواية نلاحظ توظيفا لأساطير الجن بطريقة سلسة وبمهارة أيضا، فالكاتب يسمو لإضفاء لمسة من الفانتازيا تعكس التراث الشعبي العماني، فهي جزءٌ لا يتجزأ من الثقافة العربية عموما والعمانية خصوصا، تتجلى في روايتنا بأشكال مختلفة،بدءً من القصص الشعبية المتناقلة شفويا، وصولا إلى تصوير الأحداث الخارقة للطبيعة والمنافية للواقع التي تؤثر على حياة الشخصيات، كما أن هذا التوظيف يُدّعم الأجواء الغامضة والخيالية في الرواية، فهي تمنح القارئ إحساسا بالعجائب وتُمكنه من العيش في عالم مملوء بالمفاجآت والتشويق.

لا تستند الرواية إلى هذه الأساطير لمنح جو من الفانتازيا فقط، بل تسعى أيضا لتقديم بعد ثقافي واجتماعي للمنطقة، فمن خلال تفاعل القُراء مع هذه الأخيرة يستطيع الكاتب التعبير عن بعض جوانب الهوية الثقافية العمانية وإبراز لتناقضات والصراعات الداخلية التي تواجهها الشخصيات، وهو ما يزيد عمق الرواية ويجعلها تجربة قرائية مثيرة وغنية بالأبعاد.

3. ذاكرة الأفلاج:

بما أن "تغريبة القافر" رواية عُمانية يحاول من خلالها الكاتب تسليط الضوء على البيئة العمانية و التاريخ العماني، و كل ما يخص هذا الشعب من تراث و ثقافة و تاريخ ، ومما لا شك فيه أن الأفلاج مظهر مهم من مظاهر الهوية العُمانية و هي" بناء حضري متواصل يستلهم الماضي لرسم المستقبل"[1]، كان ولا بدّ من التطرق إليها بشكل من الأشكال، فيوضح لنا الكاتب أنه مهما تطورت و تحسنت أوضاع أهل القرية إلا أنهم يجب أن يعودوا إلى التراث و التاريخ العماني و إلى أصلهم و هويتهم كما هو موضح في قوله : :"**كان في القرية ثلاثة أفلاج تقسمها إلى أثلاث متساوية تمتد موازية للوادي ،و حولها الجبال الشاهقة من جهة الشرق، تقابلها من ناحية الغرب أرض ممتدة و مفتوحة على الأفق.و كانت شلالات الماء تهبط من الجبال و تذهب إلى عمق صحراء حصوية نبتت فيها أصناف من الأشجار الكبيرة مثل السدر و الغاف و السمر ، و في سنوات الخصب التي أعقبت غرق مريم بنت حمد ود غانم امتدت المزارع إلى السيوح البعيدة في تلك الصحراء ، كان البر المفتوح يغري الجميع بزراعته و يقول لهم هل من مزيد؟**

عاش الناس حياة رخاء و سال المال بين أيدي الأغنياء، أصحاب البساتين الكثيرة ، لاسيما الذين توسعوا في المزارع الجديدة ،فتمرغوا في البذخ، و صاروا يشترون أشياء كثيرة لم يعرفوها من قبل و لم يحتاجوا إليها فتنافسوا في جمع الآلات و الأثاث و بنادق الصيد و الصيغة و الذهب ،لكيلا يظهروا أمام الناس في حال أقل من الدعة و الغبطة و الغنى ."[2]

[1] د،حميد بن سيف النوفلي، أفلاج عمان حضارة مستدامة ،الجمعية العمانية للكتاب و الأدباء ،ص08.

[2] زهران القاسمي ،تغريبة القافر ،ص97-98.

"فالأفلاج حل بشري ذكي لتحويل الأماكن القاحلة إلى واحات زراعية بتوفير الماء من باطن الأرض ،و جاء هذا الحل نظرا إلى طبيعة هذه البقعة من الأرض التي تشهد تذبذبا في سقوط الأمطار نتيجة تموْقع عُمان ضمن نطاق المناطق الجافة في العالم ، و من هنا انطلق العقل العماني المبدع في سبيل بحثه عن الماء و مصادره،فاهتدى إلى أن التركيب الطوبوغرافي لطبقات الأرض ، و لا سيّما في المناطق الجبلية ، يحتوي على مكامن معتبرة يتوفر فيها الماء ،فكانت وجهته الحتمية ، و بذل لأجل ذلك كل ما في وسعه."[1]

ينسب بعض المؤرخين تاريخَ إنشاء الأفلاج في عُمان إلى أسطورة قديمة تشير إلى أنّ سيدنا سليمان هو أول من أنشأ الأفلاج في عُمان، وتقول الأسطورة: "بينما كان النبي سليمان يركب بساط الريح في طريقه إلى بيت المقدس، مرَّ بعُمان، فرأى من الأعلى قلعة "سلوت" بولاية قريات، فسأل الهدهد مُستخبِرا عنها، فأخبره الطائر أنَّ القلعة غير مأهولة بالسكان، حط بُساط النبي –عليه السلام– فوق القلعة، وأجال بصره في المكان فوجده صحراء جافة، فأصدر أوامره للجن المُسخَّرة بأن تحفر ألف قناة كل يوم" ، وتقول الأسطورة أنّ المدة التي مكث فيها سيدنا سليمان بقلعة سلوت عشرة أيام؛ كانت حصيلتها عشرة آلاف نهر تفجَّرت في أنحاء عمان، أو ما يُعرف حاليًا بالأفلاج الداودية"[2].

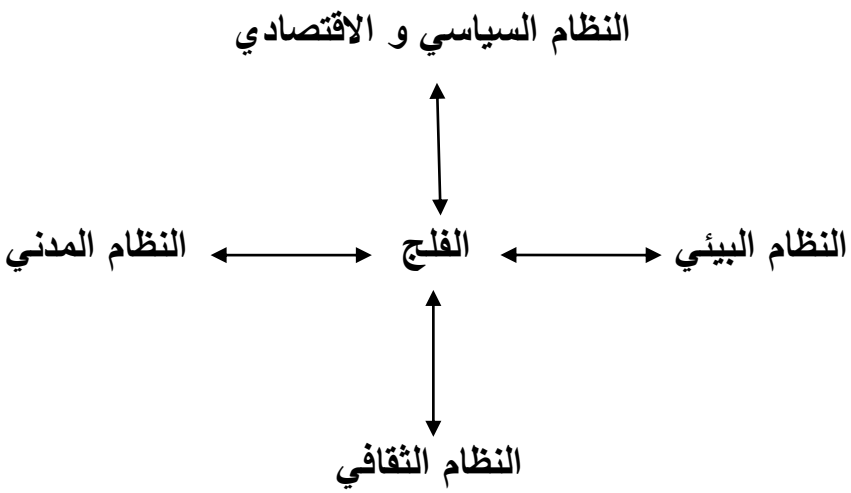
فحاول الكاتب أن يصور لنا طبيعة القرى في عمان و حاول أن يوضح لنا تراث عمان و تاريخه مع الأفلاج من خلال تصوير كيفية حفر الأفلاج و مدى أهميتها في حياة المجتمع فهي المصدر الوحيد لتوزيع المياه في القرية ."الأفلاج في نظر الإنسان العُماني هي الحياة بكل تجلياتها لمنطقة تتسم بندرة المياه بسبب قلة الأمطار ووقوعها في

[1] د ـ حميد بن سيف النوفلي، أفلاج عمان حضارة،ص09.

[2] محمد علي العوض:أساطير سليمان...من عمان إلى السودان، جريدة الرؤية ،2018.

نطاق الأراضي الجافة، كما أن لأفلاج عمان أبعاد إستراتيجية مهمة، إذ أنها من أبرز الرموز الوطنية التي أسهمت في ترسيخ الهوية العُمانية ، و تعزيز الانتماء إلى الوطن و التمسك بحب الأرض، لما لها من جوانب اقتصادية و ثقافية و اجتماعية ووجدانية ، تتمثل في أنها عامل مهم في استقرار أفراد المجتمع و اكتفائهم الذاتي و استقلالهم.و لا ريب أن الأفلاج العُمانية هي عنوان الحياة على هذه الأرض ، فهي ليست مجرد قنوات مبنية بمواد صلبة لتوصل الماء من نقطة إلى أخرى ، بل لها وظائف عديدة . و قد أوجد الإنسان العُماني الفلج منذ القدم ، و تفاعل معه و طوره إلى أن أصبح من أكثر أنظمة المياه التقليدية إبداعاً إذ أنه نظام حياة متكامل."[1]

"يمكن أن نظهر منظومة القرية العمانية و أهمية الأفلاج للفرد و المجتمع في عمان من خلال المخطط التالي :



شكل01: منظومة القرية العمانية."[2]

[1] د ـ حميد بن سيف النوفلي:أفلاج عمان حضارة مستدامة،ص5،6.

[2] د ـ عبد الله الغافري:لأفلاج العمانية: منظومة حياة مهددة ، كلية الزراعة و العلوم البحرية ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان ،ص2،3.

يمكن أن نستنتج مدى أهمية الأفلاج في حياة أهالي القرية ،و أنهم من دون هذه الأفلاج لا يمكن لأحد منهم أن يمارس حياته الطبيعية و العادية ، فبدونها سيحل البؤس و تعم المعاناة،فهي تلعب دورا مهما في الرواية من ناحية بلاغة الماء ، و أيضا كونها تراث عماني لا يمكن الاستغناء عنه.

يسعى"زهران القاسمي " من خلال توظيف الأفلاج إلى عدة غايات وأهداف سنذكر بعضها:

- زيادة التعريف بالهوية الثقافية العمانية، وتبيين أهمية وقيمة هذه الأنظمة المائية التقليدية في حياة الناس على الرغم من التطور الراهن في العالم.
- رمزية الأفلاج لجوانب محددة من الحياة، مثل التحديات التي تواجه الشخصيات وكيفية تأقلم البشر مع البيئة المحيطة بهم، وإيجاد حلول مبتكرة للتغلب على الصعاب.
- توظيفها في الرواية يساعد في بناء بيئة واقعية دقيقة، وهو ما يسهل للقارئ فهم السياق الجغرافي الذّي تدور فيه الأحداث.
- يمكن أن تُستخدم الأفلاج كعنصر أساسي في تطور الحبكة السردية، سواء أكان ذلك من خلال الصراعات المرتبطة بالمياه، أو استخدام الأفلاج كمسار للأحداث المهمة في الرواية.
- من خلاله تركيزه على الأفلاج، يستطيع الكاتب إثارة قضايا بيئية معاصرة تتعلق بإثارة الموارد المائية والحفاظ على الأنظمة البيئية التقليدية.

استطاع "زهران القاسمي" من خلال توظيفه لنظام الأفلاج في روايته أن يوفر للقارئ مغامرة غنية تمزج بين الواقعية والرمزية، وهو ما يجعلها عملا متكاملا ومؤثرا.

4. اللغة:

تُعد اللغة إحدى مقومات الوعي السردي حيث تستثمر فاعلية غرابة الحبكة للإبقاء على اهتمام القارئ، فتميزت لغة الرواية بأنها فصيحة، رقيقة، رشيقة مقتصدة،فقد وُضعت كلُّ كلمة في مكانها، حاول "القاسمي" الابتعاد عن التطويل والإكثار من الوصف لكننا نجده في بعض المواضع تكلَّف في تشبيهاته، كما استطاع أن ينقل القارئ إلى البيئة التي اتخذها مسرحا لسرد أحداث روايته، وعبَّر عن صوت خرير الماء و رائحة الهواء الرطب بطريقة تجعل القارئ يعيش الأحداث مع الأبطال.

عكست اللغة العلاقة العميقة بين الإنسان و الطبيعة، و كانت اللغة سلسة تهدر كالماء هدرا، وجاءت قدرة الكاتب في استخدام مخزونه الهائل من الكلمات والخيال في رسم صور بلاغية رشيقة التعبير جميلة الوصف والمعنى والاستعارة فنلاحظ قوله و هو يصف خيوط الصوف بين يدي "نصرا" زوجة القافر :" **بدأ المغزل في الدوران ، بدأت خيوط الصوف تمتد تأن صبرا ، كل خيط بمثابة زمن طويل لا ينتهي ،كل خيط يمضي مع الأيام و الشهور، يتنامى حتى تخاله لا حد له مطلقا و كلما انتهى خيط من خيوطها بدأت في غزل آخر.**"[1] و يقول في وصف ضحكة والد القافر:"**فصحك بن جميّل ضحكةً تَرَدَّدَ صداها على جدران بيوت الحارة وتناقلتها سفوح الجبال، كانت ضحكة غريبة، سمع على إثرها في أقاصي الحارة مواء قِطط تصيح خوفاً ورفرفة طيور غريبة في بقايا الأشجار**"[2].

بما أن الكاتب "زهران القاسمي" هو في أصله و بداية مشواره الأدبي شاعر قبل أن يكون روائيا، فكان و لا بد من تأثير تجربته الشعرية على كتاباته الروائية و هذا ما أخبرنا به في المقابلة التي أجريناها معه حين طرحنا سؤالا عن تأثير الشعر في رواياته

[1] زهران القاسمي:تغريبة القافر،ص213.

[2] المصدر السابق، ص104.

:"لا يوجد شك في أن التجربة الشعرية لها تأثير كبير جدا على الأقل إن لم يكن لغويا (...) فهو يخلق عوالم مختلفة تماما عن عالم السرد، العوالم الخيالية الأقرب للواقعية يتداخل فيها الخيالي مع الواقعي و السحري ،و غير ذلك هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى يتمتع الشعر بقوة اللغة التي تحسن النص السردي و ترفع من أداءه إلى الأعلى خصوصا أنه يوجد الكثير من المقاطع في الأعمال التي أكتبها هي مقاطع شعرية لا تحيد عن درب القصة أو الحكاية في النص."

عُكست الخبرة الشعرية للكاتب على الرواية، مما دفعه إلى إنتاج وكتابة رواية بأسلوب رفيع يجمع بين العمق و البساطة، و تتضمن استخداما سلسا و متقنا وسليماً للغة العربية الفصحى.

5. السرد:

يأرجحنا عنوان الرواية إلى العديد من الدلالات فقد إختار "القاسمي" عنوان روايته بعناية فائقة ، يمكن أن نجسدها في رحلات القافر الذي يتقفى الأثر ويتتبعه و هو الظاهر على عنوان الرواية يدل على تغريبة أو رحلات ، دلالة على رحلات بطل الرواية "سالم " من قرية إلى أخرى متتبعا أثر الينابيع الجوفية المطمورة تحت الأرض ،فيدل القرى على أماكنها من أجل شق القنوات واستخراج الماء لإحياء القرى التي أهلكها الجفاف، وفي هذه الحالة فإن التغريبة المقصودة هي تغريبة جسدية مادية للقافر.

أما الدلالة الأخرى فتأخذنا إلى دلالة أعمق من الأولى، تأخذنا إلى الألم و المعاناة التي عاشتها شخصية "القافر" من النبذ و الحرمان و دلالة على تغريبته في وطنه وسط أهله منفي من المجتمع عاش جميع أنواع الفقد من والدته الغريقة إلى والده الذي طمر تحت أنقاض الفلج، تغرب عن أمه قبل حتى أن يولد وهو في هذه الحالة ليس قافر للماء

ولا يتقفى أفلاجه ، بل هو قافر لأمه ويقتفي أثرها، فإن التغريبة المقصودة هي تغريبة نفسية ذاتية للقافر.

"تغريبة القافر" تعد عملا أدبيا يتميز بأسلوب سرد فريد من نوعه يجمع بين الواقعية و الخيال والتاريخانية والرمزية ، يتميز السرد بغنى الصور الأدبية و التعبيرات البلاغية التي تبرز معاني متعدد تعطي القارئ تجربة سردية فريدة من نوعها ، يعتبر الماء محور الرواية ليس كعنصر حيوي فقط بل كرمز ثقافي و حضاري ، جاء أيضا هادئا ساعد على تفشي الهدوء والإيقاع البطيء الذي ينتج عن الاتصال بوقائع الطبيعة ، تطرق الكاتب إلى حكايات متشعبة تأخذنا بعيدا عن الخط الرئيسي لكنها حكايات مليئة بالغرابة و الخيال و المتعة و الذي يقوم بهذه المهمة هو الراوي العليم ، **عندما تستوفي الشخصيات دورها في القيام بالأحداث, فيقصّ علينا حكايات قديمة تخصّ بعض شخصيات العمل, فالعمل قائم فنيًّا على مجموعة من القصص المنتهية التي تخصّ أبطالها,** ككحكاية شخصية "آسيا" و زوجها أو قصة حياة شخصية "سلام الوعري" و شخصية "كاذية" كل هذه الشخصيات لديها قصص و حكايات متطرفة عن القصة الأصلية التي هي قصة حياة "القافر".

يستخدم الكاتب تقنيات السرد المتقطع أو الاسترجاع –يُعرف أيضا بالعودة إلى الخلف في الزمن أو الفلاشباك– فمن خلال هذا الأسلوب السردي استطاع عرض ماضي الشخصيات وأحداث سابقة أثرت على الحاضر السردي للرواية، وهذا يساعد القارئ على فهم دوافع الشخصيات وتعقيدات القصة بشكل أفضل.

أما الحبكة فنجدها متماسكة وأسلوب تسلسلها يدل على كاتب متمرس وفذ، فهو يقدم الشخصية ثم يدخل في دهاليزها فيما بعد في مكان ما من الحبكة، فتشعر وكأنه يستخدم أسلوب سينمائي يقدم فيه ظهور أول للشخصية ثم يعريها فيما بعد.

6. الزمكانية في الرواية:

استطاع الراوي السفر بنا إلى عالم يملؤه السحر والخيال والواقع والتاريخ والرمز والأسطورة، عالم وعلى الرغم من أنه لم يحدد مكانه وزمانه بالضبط، إلا أنه نجح في تحرير متن روائي تغلب عليه صفات الروعة والجمال.

من أكبر صراعات الرواية صراع الشخصيات مع المكان، فالقرية إما تجرفها السيول وتهدم بيوتها وإما تصارع العطش بسبب الجفاف في الصيف، فنجد أهل القرية يصارعون المطر الذي قضى على منازلهم ومحصولهم فيعتكفون في الجبال منهزمين، ثم ما نلبث حتى نجدهم يهبطون سويا يتشاركون في بناء القرية وتخطيطها من جديد، ثم نجدهم يصارعون الجفاف متكاتفين يبحثون عن الأفلاج التي طمرها السيل ليشقونها من جديد، فطبيعة المكان تعتمد على الأفلاج للحصول على الماء، والافلاج هو نظام الري مرتبط بالقرى في عمان، عبارة عن منبع للمياه الجوفية تتفرع منه الأفلاج تغطي البلدة ، فما زالت القرية تحتفظ بسمة الاشتراكية في توزيع المياه فلا سيطرة لأحد عليها سوى الخالق.

فالبيئة المحلية لقرى عمان هي بطل الرواية، فتنتشر في الرواية بجانب الأفلاج حكايات الجن والأسطورة وعناصر الطبيعة القروية كالزام والغاف والأثل، والوادي والنبع والقربة ، بجانب انتشار ظاهرة الألقاب، وهو أمر مرتبط بالبيئة القروية، فلكل شخصية لقب من صفاتها، بو عيون مثلا لحظة نظره وهكذا، بجانب اعتماد الشخصيات في الحوار والراوي أو السارد على كنز مصقول من الأمثلة الشعبية سواء العربية أو المحلية العمانية، مما ساعد في وضع معالم بينة للبيئة القروية التي يرصدها الكاتب."[1] كما أننا نجد أن أغلب أحداث القصة قد حدثت في قرية"المسفاة" وبعد الاطلاع إلى حقيقة وجودها وجدنا أنها موجودة نسبيا، فالمسفاة هو اسم يطلق على مجموعة من القرى في عمان وليس اسما

[1] آية الكحلاني ،رواية البوكر "تغريبة القافر" تغريبة الذات أم تغريبة الجسد،نقد نقد.

لقرية واحدة، ونحن نظن أن الكاتب تعمّد اختيار هذا الاسم وعدم التخصيص نظرا للمنظومة الفكرية التي يعيش فيها.

أما بخصوص الزمان في الرواية فنحن لا نعلم كم استغرقت الحكاية من زمن لأن الزمان فيها غير واضح و غامض من بداية الرواية إلى نهايتها، حيث أنه بدأ مباشرة بالنتيجة و لم يذكر أسباب موت الغريقة فكان الزمان غامضا غير موضحا، ثم مشينا مع "سالم "منذ بلوغه سن الخامسة إلى سن الخامسة عشر، في هذه الفترة كان الزمن منتظم واضح يسرد فيه الكاتب حياة الفتى "سالم" إلى سن الخامسة عشرة توقف التقويم الزمني للأحداث و أصبحنا داخل زمن غامض لا نعلم كم مضى من الوقت في سرد حكايته.

"يُشيد الكاتب فصوله الروائية عبر 11 فصلا وخاتمة، كأنها شهور العام، فبعد 11فصلا للرواية يصير المتلقي في الخاتمة التي تبدو اكتمالا لزمن تام(12 شهرا)"[1] فنحن نلحظ أن نهاية الرواية تشبه بدايتها إلى حد كبير، فمثلما كانت البداية في الماء نجد أن النهاية أيضا حدثت في خضمه، فنستطيع أن نقول أن زمن الرواية هو زمن دائري للأحداث"تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النهاية نفسها التي بدأت منها."[2]

7. **البوكر:**

قبل البدء في الحديث عن فوز الكاتب بهذه الجائزة، يمكننا تقديم نظرة صغيرة عنها.هي الجائزة العالمية للرواية العربية تعرف أيضا ب"بوكر العربية"تأسست

[1] لطيفة الحمادي:رمزية الماء في رواية تغريبة القافر لزهران القاسمي:دراسة سيميائية، مجلة أدب الرافدين،مج:54،العدد:96،جامعة الوصل،دبي، الإمارات العربية المتحدة ،1مارس2024م،ص128.

[2] شجاع العاني: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،العراق،1994 م،ص43.

عام2007م،تهدف إلى مكفاة التميز في الأدب العربي ورفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الكتاب عالميا من خلال ترجمة الروايات الفائزة.

في نسخة2023 من جائزة البوكر العربية فازت رواية" تغريبة القافر" للكاتب العماني "زهران القاسمي" بالجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها السادسة عشرة، يُعد "زهران القاسمي" أول روائي عماني فاز بهذه الجائزة ضمن القائمة القصيرة للرواية العربية.وفي تصريحه لموقع الجائزة فهو يقول:"**كان الإنسان عبر العصور ذا ارتباط كبير بالماء،لذا نجد أن كبرى الحضارات قامت على ضفاف الأنهار وأن علماء الأنثروبولوجيا يؤكدون بأن بداية الحياة على سطح الأرض بدأت من الماء،ولكن كيف لو أنَّ هذه المادة التي تمنح الحياة للكائنات هي مصدر لموتها أيضا من خلال ندرتها أو فيضانها؟كيف يتحول الماء إلى قاتل؟ ويضيف:"الدلالة الأخرى هي أنَّ الماء مورد من موارد الطبيعة، وأضّ التبذير فيه وعدم استخدامه الاستخدام الأمثل سوف يؤدي إلى نضوبه، وهذه رسالة في غاية الأهمية للنظر إلى موارد طبيعية تقوم عليها الحياة واستقرار كثير من الدول."**[1]

[1]الكاتب العماني زهرا القاسمي:"تغريبة القافر"صوت قروي يذكر بأهمية الموارد الطبيعية– راو يبتعد عن التعقيدات اللغوية ليحكي قصصا من القرى العمانية،مجلة العرب، العدد12776،الجمعة 2023/05/19.

لقد تناول"زهران القاسمي" الأيديولوجيات بشكل معقد في روايته،وهو ما جعلها عملا أدبيا لا يقتصر على سرد قصة فردية فحسب، بل يمتد ليعكس الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي لعمان بشكل خاص، والعالم العربي بشكل عام، مما يجعلها مادة غنية للدراسة والتحليل. تتجلى هذه الانسيابات من خلال التداخل بين الرواية والواقع، مع استعراض العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية في سياق البيئة العمانية، كما تنساب الأيديولوجيات عبر شخصيات الرواية وحواراتهم وأفعالهم، مما يعكس تعقيدات المجتمع وتضارب قيمه بين القديم والحديث، وبين التقاليد والحداثة.

فـ"تغريبة القافر" ليست مجرد سرد لقصة شخصية، بل هي مرآة تعكس التغيرات الأيديولوجية والاجتماعية التي تحدث في عمان. فالروائي"القاسمي" خلق نصا أدبيّا عميقا تجاوز من خلاله حدود الرواية التقليدية ليقدم رؤية نقدية وفلسفية حول طبيعة التحول الاجتماعي وتأثيره على الأفراد والمجتمع ككل.

الفصل الرابع:
جمـاليـات التفـاصيــل الصــغيـــرة

أولا: مركزية المرأة:

1.مريم بنت حمد ود غانم.

2.كاذية بنت غانم.

3.آسيا بنت محمد.

4.نصرا بنت رمضان.

ثانيا: رمزية الحب :

1.مريم وعبد الله بن جميّل.

2.كاذية وسلام ود عامور

3.آسيا وإبراهيم بن مهدي.

4.نصرا بنت رمضان وسالم بن عبد الله.

ثالثا: التناص.

تمهيد:

في رواية "تغريبة القافر"لـــ"زهران القاسمي" تتجلى جماليات التفاصيل الصغيرة بدقة وحرفية،مما يضفي على النص عمقا وبعدا إنسانيا يجذب القارئ إلى عالم الرواية. يستخدم الكاتب عذه التفاصيل لخلق مشاهد حية تضج بالحياة، وتساعد في بناء الشخصيات وتطور الأحداث بشكل طبيعي ومتسلسل.التفاصيل الدقيقة مثل وصف الأماكن والأشياء والأحاسيس وحضور المرأة في الرواية...وغيرها تلعب دورا حيويا في توضيح الجو العام للرواية وتقديم بيئة غنية بالمكونات الثقافية والاجتماعية.

الاهتمام بهذه التفاصيل يعزز من واقعية الرواية ويجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش في قلب الأحداث، على سبيل المثال، يمكن أن نجد في توظيف المرأة تلميحات صغيرة تساهم في رسم صورة شاملة ومعقدة للمجتمع التي تور فيه الأحداث.كما أن الكاتب يستخدم التفاصيل الصغيرة للكشف عن عمق ودوافعها الشخصيات ودوافعها الداخلية، مما يمنح القارئ فهما أعمق لتصرفاتها وتطورها على مدار الرواية.

من خلال التركيز على هذه الجماليات، يتمكن "القاسمي" من إضفاء طابع فريد على روايته بحيث تصبح التفاصيل الصغيرة جزءاً لا يتجزأ من السرد، تساهم في خلق تجربة قرائية غنية وممتعة تضيف إلى جمالية النص وتعقيده.بهذا الأسلوب يبرز "القاسمي" كاتبا متمكنا قادرا على تحويل اليومي والبسيط إلى فن أدبي راقٍ.

أولا:مركزية المرأة:

تعتبر "تغريبة القافر" عملا إبداعيا مميزا،فهي تجمع بين الواقعية والغرائبية،تهدف إلى تصوير المجتمع العماني ،كما تسلط الضوء بشكل معمق على الشخصيات النسائية ،وإبراز دورها في المجتمع،والأهم تبيين دورها في في نسج أحداث القصة.لا يُصور "القاسمي"المرأة كرمز للأنوثة والجمال فقط، بل يُصورها كقوة دافعة تحمل في طياتها العديد من التحديات والعواطف،وقد اخترنا أهم الشخصيات النسائية في روايتنا لنتطرق لها:

1.مريم بنت حمد ود غانم:

"مريم بنت حمد ود غانم" هي إحدى الشخصيات المهمة التي وظفها وافتتح بها "زهران القاسمي" روايته،فهي تظهر لنا كرَّبة بيت تقضي معظم وقتها في قضاء حاجيات بيتها من طبخ وتنظيف وسقي الماشية حالها كحال جميع النساء،إلا أنها لا طالما عُرفت بمهارتها في تطريز الثياب،وخفة يدها و إتقانها لصنعتها،فكانت تتخذ منها مهنة مقابل أجر زهيد،يعيلها هي وزوجها.عاشت "مريم" برفقة زوجها"عبد الله بن جميّل" في بيت "القعتة" لسنوات تملؤها الراحة و الهدوء،وبعد سنوات من الانتظار اكتشفت "مريم"أنها حامل،لكن ومع مرور الوقت لازمها صداع شديد ونظرا لحدته ثقلت يدها فأهملت بيتها وزوجها وتوقفت عن مزاولتها لمهنة التطريز،جربت العديد من الأدوية حتى الطرق التقليدية كالكيِّ والأدوية العشبية والعقاقير لكنها لم تفدها في شيء فقد كان مفعولها مؤقتا،ومع استمرار معاناتها،لاحظت أن الصداع يخِف عندما تغمر رأسها في عمق حوض البئر أثناء استحمامها،فبدأت تراودها الكوابيس و الهلوسات،فأصبحت تُهلوس بأن حبل البئر تناديها،وإثر ذلك كانت نهايتها المأساوية بسبب استسلامها للهمس الذي لازمها طيلة فترة حملها،فقد سقطت في البئر.

هذه هي القصة التي اختارها الكاتب لشخصيته"مريم"،فهي تظهر كرمزٍ لمختلف التحديات التي تواجهها النساء في المجتمعات الريفية،كما أنها شخصية مهمة في الرواية جسّدت الألم والأمل،القوة والضعف،التهميش والتكافل الاجتماعيين.ولا يمكننا الحديث عن قصة "مريم" دون التطرق إلى حالتها النفسية،فبعد النظر عن كثب نلاحظ بعض الجوانب النفسية لهذه الأخيرة:

- كانت "مريم" تجد راحتها عند غمر رأسها في الماء،تشير هذه الفكرة إلى رغبتها في الهروب من واقعها الأليم والبحث عن الشفاء والراحة والنعيم في الطبيعة.
- كانت جميع النساء تغار من"مريم" بسبب براعتها في التطريز،وبعد انتشار خبر مرضها اتهمها البعض بالجُنون،أما آخرون فقد قالوا أنها حُسِدت بسبب مهاراتها،في حين قال بعض آخر أنها مسحورة،وبسبب ذلك أصبحت "مريم" معزولة عن الناس،هذه العزلة سببت لها الكثير من القلق والتوتر،وهو ما زاد من دائها الأليم.
- عند الرجوع إلى كيفية موتها غريقة في البئر،يظهر موتها كنوع من الانتحار،فكيف للماء الذي يُعتبر مصدرا للحياة في بيئة صحراوية والذي يكاد ينعدم فيها يمكنه أن يصبح مجرما ومصدرا للموت؟ وهذا ما يُفسر صراعها الداخلي والتناقضات التي تمس حياة هذه الشخصية.

قدّم لنا الكاتب مثالا حيّا على موضوعات معقدة تحتل مكانة كبيرة في واقعنا المعاش على غرار الموت والحياة والتقاليد،يتمثل في شخصية"مريم" فهي تمنحنا محاكاة عميقة للحياة العمانية وتجسد العلاقة بين الإنسان وبيئته.

2.كاذية بنت غانم:

تظهر هذه الشخصية لأول مرة عند انتشال الجثة من البئر واكتشاف حياة جنينها،فهي تلك العجوز التي خالفت رأي الشيخ في وجوب دفن الجثة مع ابنها،لتشق بطنها مستخرجة الطفل تحت أنظار جميع الحاضرين."كاذية بنت غانم" هي عمة الغريقة"مريم" تولت

تسمية وتربية الطفل"سالم" بعد وفاة أمه،كما أنها أول من اكتشف موهبة تقفي أثر الماء التّي تمتع بها ابنها،تظهر كشخصية تتميز بالحكمة والقوة والصبر وهو ما يتّجلى في طريقة تعاملها مع الأحداث المحيطة بها وعلاقاتها بباقي شخصيات هذا المتن الروائي.

يمكننا التطرق إلى نفسية هذه الشخصية حيث نستطيع أن نقول فيها:

- شخصية تواجه الصعاب بصلابة نفسية شديدة وقوة في الشخصية:وهذا ما يعكس لنا قدرتها على المثابرة ،فقد تحملت مسؤولية رعاية القافر ودعم مسيرته على الرغم من أنها كانت تعيش وحيدة لا مُعيل لها.
- شخصية تتمتع بالحكمة والبصيرة:فقد كانت ترى الأمور بِرَّوية و وضوح، كما أنها تعمل عل تقديم النصح والإرشاد لمختلف الشخصيات ك"سالم"و"عبد الله"و"آسيا".
- مثال عن التضحية والأمومة: تقدم تضحية كبيرة في سبيل تربية ورعاية"سالم"، فهي العجوز التّي لم تتزوج ولم تذق طعم الأمومة في حياتها قط، المعطاءة التّي تُقدم وتُفضل احتياجات"سالم" على احتياجاتها الشخصية،فهي أمه التّي لم تلده.
- مصدر للدعم الاجتماعي للقافر:فقد كانت تدعمه نفسيا وعاطفيا ومعنويا.
- شخصية تتميّز بتوازنها العاطفي الذّي يمّكنها من التعامل مع المشاكل و الضغوطات دون أن تفقد السيطرة على مشاعرها، وها ما يُعبر عن استقرارها النفسي.

من خلال هذا التحليل يمكننا الجزم بأن"زهران القاسمي" تعمد توظيف شخصية "كاذية" ،ونسب إليها صفات القوة والحكمة والصبر على الشدائد والتأثير على الغير بطريقة إيجابية طبعا والقدرة على التعامل مع الضغوط النفسية والاجتماعية والعاطفية ،فهي تظهر كمأمن للشخصيات من العالم الخارجي،وكمُدعم نفسي ومُحفز لهم خاصة شخصية القافر.

3.آسيا بنت محمد:

"آسيا بنت محمد" تأتي هذه الشخصية في روايتنا في دور المرأة التي قامت بإرضاع "سالم"، هي تلك المرأة التي أنجبت خمس بنات لكن لم تبق منهن واحدة، فقد كانت مشيئة الله تعالى أن يَّمُتْن واحدة تلو الأخرى، إلى غاية دفنها لابنتها الأخيرة قبل يومين فقط من ولادة القافر،عانت "آسيا"من هجران زوجها لها لعدة سنوات فكان لها القافر البيت والعائلة كلها.

تظهر"آسيا" كشخصية معقدة غنية بالدوافع النفسية، تشبه حزمة كبيرة من المشاعر كالحزن والفقد والحب والحنان...وغيرها،تميزت بالعديد من الصفات أهمها:

- التضحية والإيثار:أظهرت "آسيا" استعدادها الكبير للتضحية من خلال إرضاعها لطفل غريب عنها، وهو ما يدل على إيثارها الكبير ورغبتها الشديدة في نذوق طعم الأمومة.
- الصمود في وجه الصعاب:أظهرت شخصية"آسيا" قوة نفسية كبيرة في التعامل و مواجهة مصاعب ومصائب الدنيا، خاصة في فترة غياب زوجها الطويلة والتّي دامت لسنوات عديدة.
- الحنين والتعلق العاطفي: تبدو "آسيا"من الوهلة الأولى متعلقة بزوجها،فهي تحن إليه رغم طول فراقه لها،يشير هذا إلى رغبتها في علاقتها مع زوجها بغض النظر عن التحديات التي تواجهها في هذا المجتمع القروي الذّي تعيش فيه.

تُظهر شخصية "آسيا بنت محمد" ارتباطا شديدا بالتراث والثقافة العربية،لكنها في الوقت نفسه تعانق الأفكار الجديدة،كما أنها تُعبر عن قيم ومعتقدات المجتمع،وهو ما أكسب الرواية نوعا من التشويق والغموض.

4.نصرا بنت رمضان:

"نصرا بنت رمضان" هو اسم الفتاة التّي أحبها و تزوجها القافر، رافقته طيلة حياته بداية من طفولته المنهكة و وصولا إلى شبابه اليافع، فبعدما سافر القافر رفقة والده إلى قرية "المسيلة" لتقفي أثر الماء،صادفها هناك وتزوجها،لكن وبعد وفاة والده عادت "نصرا" رفقة زوجها إلى بلدته لتبدأ معه حياة جديدة.

من خلال تحليل شخصية "نصرا" يمكننا استكشاف أبعاد حياة الإنسان وما تشكلها من علاقات، فهي تعبر عن العديد من القضايا الإنسانية كالحب والفقد والارتباط بالأرض والماء.شخصية"نصرا" تمثل الحب والوفاء اللّذان يقفان صامدين في وجه الصعاب ،ويثبتان شامخين حتى في غياب الطرف الثاني، إنه لأمر صعب أن تتحمله امرأة تعيش في مجتمع قروي منغلق على ذاته همه الوحيد الحفاظ على العادات والتقاليد والأعراف.

ثانيا: رمزية الحب:

إن توظيف رمز الحب في هذا المتن الروائي من أهم الأمور المهمة التي تستوقف أي قارئ له، فهو بهذا التوظيف استطاع إبراز مختلف المشاعر العميقة والتناقضات التي تسيطر على شخصياته.يظهر الحب في روايتنا على عدة أشكال مختلفة ويؤثر بشكل كبير على مجرى الأحداث، فقد يكون مصدر سعادة وراحة كما يمكن أن يكون سببا للألم والمعاناة.ف"تغريبة القافر"تُقدم لنا صورة غنية ومعقدة عن الحب وتأثيره الكبير على الأفراد والمجتمعات.

1.مريم وعبد الله بن جميل:

لقد ذكرنا في العنصر السابق قصة شخصية"مريم بنت حمد ود غانم"، وقلنا أنها كانت متزوجة من"عبد الله بن جميّل" الملقب ب"البيدار"،عاشت معه في بيت"القعتة" على إحدى التلال الجبلية لسنوات، احترفت مهارة التطريز واعتمدتها في كسب لقمة عيشها لإعانة زوجها الذي كان يعمل في الضواحي، و يقضي معظم وقته في سقي النخيل

والاعتناء بالمزروعات مقابل أجر على حسب الاتفاق، فرغم أنهما كانا ميسورا الحال إلا أنهما عاشا سنوات من الراحة والهدوء والحب،إلى أن اكتشفا تحقق أمنيتهما المنتظرة طويلا في أن يصبح لديهما طفل يؤنس حالهما ويبهج حياتهما، ومع مرور الأيام لم تكتمل الفرحة فقد أصيبت الزوجة بصداع شديد لدرجة أنه لازمها في حلمها ويقضتها،فأصبحت لا تستطيع إنجاز أعمالها، كما قامت بإهمال نفسها وزوجها وبيتها. حزن"عبد الله"حزنا شديدا لحال زوجته، فلم يترك حلا إلا وقد أحضره لها، فأحضر لها "حمدان المداوي" الذي قام بكيِّ رأسها، كما كان يخرج مساءً للبحث عنها بعدما كانت تخرج هائمة وسط الضواحي لا تعرف طريق العودة، كما أنه لطالما شعر بالعجز والأسف الشديدين بعد سماع الإشاعات التي لفقها أهالي القرية لزوجته.

وفي يوم وفاة "مريم" عاد "عبد الله" إلى المنزل فلم يجدها فقرر إعداد الغداء نيابة عنها، وعندما سمع الصراخ خرج ليعرف مصدره فتفاجئ بجثة زوجته منتشلة من البئر ، لتصيبه نوبة من الذهول والجمود:"**أراد أن يبكي ولكن جبلا عظيما كان يجثم على صدره ويمنعه من ذلك،حتى عندما حمل النعش على كتفه مع الآخرين،مشى به كالمسحور،غائبا عن الميتة التي يحمل أو المقبرة التي يُساق إليها.كان مع الناس جسدا ماثلا مثل أجسادهم،أما قلبه وروحه في مكان آخر.كأنّ زوجته قد تبدّت له وحده عندما غابت عن الدّنيا،فأخذته من العالم كله،جاءته بكامل زينتها وسحبته من ذلك الجمع حول البئر،وأخذته إلى وديان خضراء تجري فيها الينابيع منبثقةمن صخور الجبال.كانت تمسك بيده ولا تتركها،تجلس بجانبه وتنظر في عينيه،وتُ غني له أغانيها الجبلية الشجية،حتى صار يهيم بسعادة لا حَدَّ لها.**[1]وبعد انتهاء الدفن عاد إلى منزله وبقي هناك ثلاثة أيام متوالية والحمى تنهش عظامه دون أن يُدرك أو يُحس بشيء منها نتيجة للصدمة التي حلّت به، يقول "زهران القاسمي" وهو يصف حاله:"**في اليوم**

[1] زهران القاسمي: تغريبة القافر،ص38.

التالي،بعد توقف المطر، جاء عبد الله بن جميّل إلى بيت كاذية وقد ملأ روحه الحزن ففاض وانعكس على وجهه،وتحوّل لونه إلى السّواد وتهاوت كتفاه على نحو بدا من خلاله كأنّه يُخبر بعجزه عن فعل أيِّ شيء من دون زوجته."[1]بعدما أدرك"عبد الله" لما أصاب زوجته وبعدما خرج أخيرا من صدمته،اكتف وأخرا أن زوجته لم تتركه وحيدا بل تركت له قطعة منها ليُكملا حياتهما معا"**عندما التقت عيونهما ،بقي الولد غارقا في تَيْنَك العينين اللّتين تُشبهان عيني مريم فعلا.بدا كل شيء ساكنا في تلك النظرة،حتى فتح الطفل فمه كأنه يبتسم له،فشعر عبد الله بصخرة الحزن الثّقيل تُرفع عن قلبه بهدوء،وشعر بجسده يزداد خفة،وبفضاء البيت يكبر.رآها فيه،في وجهه كله،حتى في لمعة الذكاء في عينيه،فما كان منه إلا أن احتضنه وقبَّل جبينه وبدأ ينوس والطّفل في حضنه يتشبّع برائحة أبوّته وحنانه ومحبّته.**"[2]

2.كاذية والوعري:

قصة كاذية والوعري تُعتبر هي الأخرى نموذجا حيًّا يجسد الحب في قصتنا،ف"سلام ود عامور" مرض في صغره بحمى شديدة لازمته لأشهر لم ينقص من سخونتها لا دواء ولا تعليق الحرز،فقد لازم الفراش دون أكل أو شُرب،وفي صبيحة أحد الأيام قام الطفل من فراشه وهو بصحة جيدة وصار يأكل الطعام من دون أن يشبع ، انتبهت أمه إلى احمرار لون عينيه وحدة نظراته، ومع مرور الوقت لاحظت تصرفاته الغريبة فما كان لها إلا تفسير واحد وأوحد وهو أن هذا الطفل ليس ولدها لأن الجن قامت باختطافه،ورغم محاولات عديد الناس في إقناعها إلا أنها أبت تصديقهم، وبعد عودة زوجها وسؤاله لها ابنه أخبرته بما تزعمه ونتيجة لذلك دخلت في أزمة نفسية وهجمت على الطفل وصارت تخنقه محاولة قتله،فلم يجد زوجها سبيلا لإيقافها إلا بضربها على رأسها

[1] المرجع نفسه،ص37.

[2] المرجع نفسه،ص40-41.

بكعب بندقيته فسقطت جثة هامدة، قام "عامور" بتسليم نفسه والاعتراف بفعلته،وانقطعت أخباره بعد أن غادر البلاد.صار"سلام" يعيش وحيدا يرفض التحدث مع الناس يقضي نهاره مختبئا في الوديان العميقة ثم يعود في الليل إلى بيته لكي ينام، فيجد طعاما مغطى يتناوله، ثم يعيد الأواني إلى مكانها.

أما "كاذية" فقد كانت تسكن في البيت المجاور لبيت الوعري،وهي التّي كانت تضع له الطعام في بيته لتُعيد فعلتها كل يوم،لقد كانت تكبره بخمس سنوات، وبعد توالي السنوات أصبح "سلام ود عامور" يعيش وحيدا منعزلا عن الناس في المزرعة التي تقع في أقاصي القرية والتي ورثها عن أبوه، فحادثة "مريم" أعادت لمَّ شمل "الوعري" و "كاذية" كما أن لاكتشاف موهبة القافر سببا في ذلك أيضا، وفي ذلك يقول القاسمي:"ش**ربت كاذية قهوتها ثمَّ خرجت قاصدة بغيتها،فشيّعها بعينيه،كان في القلب شيء قديم مازال يخزه بين الفينة والأخرى،فظلت عيناه تتبعانها حتى اختفت من دون أن تلتفت إلى الوراء.**"[1]بعد عودة القافر مع زوجته إلى بلدته أخبر الجميع بوفاة والده"عبد الله بن جميّل" فحزنت "كاذية" عليه حزنا شديدا حتى أنها طرحت الفراش لا تقوى على النهوض،فكان تبكي وتلوم نفسها لأنها رأته يذهب إلى نهايته ولم تمنعه من ذلك، بقيَّت على حالتها إلى أن ماتت بسبب حزنها الشديد،فحزن "الوعري" عليها وقد عاد إلى عزلته من جديد"**حزن سلام بن عامور الوعري حزنا شديدا على وفاتها،صار يختار الليالي المظلمة ليقضيها جالسا عند قبرها،يحدثها عن تلك اللواعج التّي عاشت في صدره،ويخبرها بحكاياته التّي ودّ لو أسمعها إيّاها من زمن.**"[2]

3آسيا وإبراهيم:

[1] المرجع نفسه،ص102-103.

[2] المرجع نفسه،ص151.

"آسيا بنت محمد" هي مرضعة القافر، كانت متزوجة من "إبراهيم بن مهدي" الملقب بـ"الملاق" نسبة إلى لسانه الرطب، حُرمت "آسيا" وزوجها من الأطفال، فقد رُزقا بخمس بنات لكنهنَّ فارقن الحياة جميعهن، على الرغم من أنهنَّ لازلن في المهد.بعد مرور السنين قام"إبراهيم" بهجرة زوجته، وتركها وحيدة في بلدتها، عاشت وحيدة بلا مُعين لها ولا سند، وبعد ست سنوات من الفراق وصلها خبر من زوجها أنه مريض ويُريد لقاءها في أقرب وقت، وبعد تفكير طويل ومعمق قررّت الذهاب لرؤيته، وبعد أيام وصلت إلى قرية"الغافتين" التي يعيش فيها زوجها،فكان لقاؤهما حافلا بالمشاعر والأحاسيس والدموع ، بعد رؤية"آسيا" للحالة المزرية التي آل إليها زوجها،رَّق قلبها وكتمت ما في داخلها ، فبدأت بالاهتمام به وبحالته، فكانت تطببه وتداويه وتنظفه، حتى أنها كانت تقوم بتسليته وتداعبه، فقد عادا إلى حياتهما الأولى التي كان يغمرها الحب والسعادة.أما "إبراهيم" فبعد لقائه مع زوجته عاودت نيران الشوق والحب تشتعل في قلبه، كما أنه ندم على كل ما فات وكل ما أصاب زوجته بسببه.

إن "آسيا" تحمل في قلبها حبا عذريا صادقا لزوجها"إبراهيم"، أخفته في قلبها لسنوات وحافظت عليه رغم أنها كانت تعيش في مجتمع منغلق، يُحمل المرأة اللَّوم على كل شيء يحدث حتى لو لم يكن لها دخل في ذلك، فهي بذهابها إلى زوجها و عدم معاتبتها له تحاول الحفاظ على علاقتها مع زوجها و الابتعاد كل البعد عن شتى أنواع الانفصال.

4.نصرا وسالم:

إن العلاقة التي تجمع "سالم بن عبد الله" بالفتاة""نصرا بنت رمضان" مميزة ومختلفة عن باقي العلاقات السابقة التي جمعتها روابط الحب والوّد والوئام، تُعتبر"نصرا" مصدر إلهام للقافر منذ صغره، فقد كان يجدُ في ابتسامتها الأمل و الراحة والمهرب من ألمه وواقعه، لكن وبعد فترة وجيزة رحلت الفتاة من البلدة وأخذت معها بسمتها التي لطالما

كانت المشجع والمحفز الأول له.مع توالي السنون والأعوام وبعد اكتشاف القافر لذاته وسفره رفقة والده إلى قرية"المسيلة"،صادف الفتاة التي كان يرتاح بمجرد رؤيتها فغمرته الفرحة الواسعة وتملّكه الذهول والارتباك، حتى أنه أصبح يغيب ذهنه تفكيرا فيها في أغلب الأحيان لدرجة أنه أهمل العمل الذّي قدم من أجله، لكنه قرّر خطبتها فتمَّ الزواج و القافر والفتاة وجميع الأهالي في قمة سعادتهم، لكن وبعد يوم واحد فقط من الزفاف تُوفيَّ والد القافر مطمورا تحت إحى قنوات الأفلاج التي كانوا يعملون بها، فحزن الجميع عليه حزنا شديدا، أما القافر فقد عاد رفقة زوجته"نصرا" إلى بلدته مقررا التوقف التام عن مزاولة مهنة التقفي، والتوقف التام عن سماع خرير المياه، لكنه وبعد مدة خضع "سالم" لصوت الطبيعة الذي كان يناديه رغم أنه كان يتحاشاه، فاستجاب للنداء وبدأ بشق إحدي الصخور الصماء القديمة التي قمة جبل صخري عتيق، فما كان من الناس إلا تأليف الحكايات والإشاعات وتداولها بين الجميع على ان وصل الخبر إلى زوجته، التي كانت حزينة على حاله لكنها كانت لا تُبيِّن شيئا من ذلك الحزن أمام الأهالي خوفا عليه منهم ومن كلامهم، فكانت تحاول إقناعه للتوقف عن هذا الجنون.

بعد فترة قصيرة أتى القافر رجلا يحمل عرضا مغريا، وبعد تفكير مطول وافق القافر على طلبه وذهبا معا إلى المجهول، حدث كل هذا تحت رفض وخوف"نصرا" على زوجها،وبعد أن وصلا إلى وجهتهما وبعد انقضاء شهر من العمل والتعب بدأت معالم الصداع المتقطع تتغلغل داخل رأس "سالم" فأصبح ينتابه التشويش وفقدان القدرة على التركيز، لكنهوفي أحد الأيام قرر العمل وحده وقبل الجميع، وفي أثناء الحفر خرج الماء وجرفه إلى أعماق الفلج فأصبح عالقا هناك يصارع لكي يبقى حيا ويعود إلى زوجته ، دامت حالته تلك أشهرا عديدة حتى أجمع الجميع على أنه مات منذ زمان.

بعد أن وصل الخبر إلى قريته وزوجته، أصبح أهلها وجميع الناس يطلبون منها الزواج ونسيان زوجها، فهذا شيء طبيعي كونهم يعيشون في مجتمع لا يعترف بجميع

حقوق المرأة، لكن ورغم ذلك الضغط الذّي كانت تتلقاه"نصرا" إلا أنها أبت الخضوع لطلبات مجتمعها المستفزة والمنتهكة لحريتها، فهي لم تُصدق أن زوجها مات فكيف لرفيق حياتها الذي تواعدا أن يُكملا حياتهما معا أن يتركها في منصف الرحلة وحيدة؟ فكانت تتذكره في كل وقت وفي كل مكان، وأصبح خياله يرافقها إلى كل مكان تقصده فكان أنيسها الغائب.فبدأت عروض الزواج المختلفة تتهاطل علبها لكنها كانت دائما ما ترفضها جميعا، لذلك لجأت إلى طريقة تنقذها من هذه المشكلة التي وقعت فيها، فقد قامت بإخبار الجميع أنها ستقبل بالزواج حالما تنتهي من غزل جميع الصوف التي تملكها لكنها لم تحدد مدة لذلك،فبدأت تسمي كل خيط تغزله باسم واحد من الأفلاج التي دخلها زوجها و عمل بها فقد سمت

السمدي،العفريت،الشللي،البير ،النوّاح،البحري،المطوّع،النهام،الجوبيوغيرها الكثير ،وظلت على ذلك الحال وقتا طويلا فكلما عاد أهلها ليتفقدوها تحججت أنَّ مغزلها لم ينتهي بعد.

إن توظيف الحب في روايتنا لا يقتصر على الثنائيات الرومانسية فقط، فبعد الاطلاع على قصص الثنائيات التي ذكرناها آنفا نلاحظ أنه يمتد ليشمل حيزا أوسع وأشمل :كحب الأرض والوطن،وحب الحياة بكل تحدياتها وصعوباتها.فهو يظهر كوسيلة للتواصل بين الطبيعة و الإنسان، وكمحفز للشخصيات على المغامرة والاستكشاف.كما أنه له دور كبير في تشكيل العلاقات بين الشخوص، كما أنه يعتبر مصدر قوة وإلهام يعمل على دفع الشخصيات للتغلب على المصاعب والبحث عن المعنى العميق لوجودهم، بهذه الطريقة. يسلط"القاسمي" الضوء على الحب كقوة محركة للحياة ويُوضح أنَّ لهذا الشعور العميق القدرة على إحداث تغيير بين الأفراد والمجتمعات.

ثالثا: التناص:

يكثر أيضا التناص في الرواية، فتارة يكون واضحا و تارة يكون مضمرا، ففي بداية الرواية نلاحظ وجود تناص حينما أخرجت "كاذية" الرضيع من بطن أمه و يتمثل في :"

محلاه ... صلاة محمد السلام ... يخرج الحي من الميت ، يخرج الحي من الميت ، يخرج الحي من الميت ." و هو واضح أنه تناص دينيٌّ من القرآن الكريم لقوله تعالى :**{إنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ و النَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ و مُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فأنَّى تُوفَكُونَ}**[1]. فالظاهر أنه تناص صريح أخذه من القرآن الكريم ليخدم المتن الحكائي و ذلك لهول المشهد العظيم عند استخراج الرضيع من بطن أمه الميتة.

و قد يبدو التناص متسترا كما في حاسة سمع" القافر" القوية هي تناص مع حاسة الشم الشديدة في رواية "العطر" للروائي "باتريك زوسكيند" ففي كلتا الروايتين تبدأ الرواية بولادة عجيبة للبطل، و تموت الأم و يعيش عند مرضعة، و يكتشف موهبته ضمن أحداث غريبة تكشف قدرته الهائلة على الشم، في الشم " غرنوي" بطل رواية "العطر" ، و في السمع " القافر" بطل رواية" تغريبة القافر".

و كذلك النهاية المبتورة، فلقد ترك لنا كاتب " تغريبة القافر " النهاية مبتورة أو نهاية مفتوحة متروكة لخيال القارئ، نفس النهاية في رواية "العطر"، و إن أمعنى الملاحظة في رواية "القافر" أن في الفصول الثلاث الأخيرة تضمنت حدث أو حدثين فقط و البقية وصف و حبكات جانبية لا تخدم الحبة الرئيسية، و نفس الشيء في رواية "العطر". فنلاحظ أن "القاسمي" تأثر قليلا برواية "العطر" مما أعطاه الإلهام و الفكرة في كتابة هذه الرواية الفريدة من نوعها التي حصدت العديد من الجوائز و شهد الجميع على أنها رواية في القمة و لا مثيل لها بين الروايات العربية و خاصة العمانية .

بعد الخوض في غمار الرواية والتطرق إلى حكايات شخصياتها المختلفة، تستوقفنا قصة"آسيا بنت محمد" مرضعة القافر، فعند قراءتها نستذكر القصة الشهيرة لـ"آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون" والتي اعتُبرت نموذجا للإيمان والصبر والشجاعة وتقديم الحب فهي

[1] سورة الأنعام ،الآية 95.

التي تبنت موسى–عليه السلام– وأظهرت رعاية وحنانا كبيرين تجاهه، على الرغم من أوامر فرعون بقتل الأطفال، نفس الشيء نجده عند "آسيا مرضعة القافر" فدورها كمرضعة يعكس صفات الحنان والرعاية، فهي تقدم الحب والعناية للقافر في سياق الرواية مما يعزز من طابعها الإنساني الرحيم.قد تختلف هاتان الشخصيتان في سياق الأحداث لكنهما يتشابهان في الجوانب الإنسانية والروحية، فكلتاهما يجسدان القوة والصبر والإيمان في مواجهة الصعاب، كما أننا نشك أن تسمية الكاتب لهذه الشخصية باسم"آسيا" قد تكون إشارة إلى هذه القيم.

حكاية عوليس وبينولوبي{أوديسيوس في الأدب اليوناني} تعتبر من أشهر القصص الأدبية الغربية، مأخوذة من الهوذيسة لهوميروس، تحكي عن مغامرات أوديسيوس وعودته إلى وطنه بعد حرب دامت عشر سنوات، لكن وخلال غيابه أجبرت زوجته بينولوبي على الزواج لاعتقاد الجميع أن زوجها قد مات، لكنها بقت وفية لزوجها حيث أصبحت تلجأ للحيل لتعطيل زواجها مثل الحياكة النهارية ونزع كل ما حاكته ليلا.وهو نفس الشيء الذي نجده في روايتنا فبعد غياب القافر الغامض أجزم الجميع بوفاته فصاروا يطالبون زوجته "نصرا" بالزواج لكنه كانت ترفض وتحاول تأجيل الموضوع بغزل الصوف.فعلى الرغم من اختلاف السياقات الثقافية والزمنية بين القصتين إلا أننا نلتمس تشابها واضحا بينهما مثل الوفاء والصعوبات التي تواجه الشخصيات.

في خاتمة حديثنا عن جماليات التفاصيل الصغيرة في رواية "تغريبة القافر" للكاتب العماني"زهران القاسمي" يمكن القول أنه نجح ببراعة في استخدام هذه التفاصيل لإثراء النص الروائي وإضفاء طابع حيوي وواقعي على الأحداث والشخصيات، من خلال التركيز على العناصر الدقيقة في البيئة العمانية والاهتمام بالتفاصيل اليومية، تمكن القاسمي من بناء عالم أدبي نابض بالحياة يجعل القارئ يشعر وكأنه جزء من الرواية.

التفاصيل الصغيرة ليست مجرد زينة سردية، بل هي أدوات فنية تُسهم في تعزيز فهم القارئ للشخصيات وأبعادها النفسية والاجتماعية، وتساعد في تكوين صورة واضحة ومتكاملة عن البيئة والثقافة التي تنتمي إليها هذه الشخصيات.هذه التفاصيل تمنح النص الروائي عمقا وتجعل التجربة القرائية أكثر عنى واتساعا.

بهذا النهج،يُظهر "زهران القاسمي" قدراته الفائقة على تحويل العناصر البسيطة واليومية إلى عناصر جمالية وفنية تخدم السرد وتضفي عليه قيمة أدبية عالية."تغريبة القافر" تُعد نموذجا رائعا على كيفية استخدام التفاصيل الصغيرة لخلق نص أدبي قوي ومؤثر يعكس واقع المجتمع وبغوص في أعماق النفس البشرية.

الخاتمة

الخاتمة:

و في ختام بحثنا المعنون بـــ"**رواية تغريبة القافر مقاربة في الأنساق الثقافية**" سنلقي نظرة على أهم النقاط التي تمت مناقشتها في مذكرتنا و نستعرض الاستنتاجات التي تتمثل في:

- ✓ تُعتبر رواية تغريبة القافر" لـــ"زهران القاسمي" عملا أدبيا متميزا يُسلط الضوء على الأنساق الثقافية المعقدة التي تُميِّز المجتمعات العربية، خاصة في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتسارعة، عبر شخصياتها وأحداثها المتشابكة، فهي بذلك تُقدم رؤية عميقة لطبيعة التفاعلات بين الأفراد والبيئة الثقافية التي ينتمون إليها.
- ✓ إنَّ الرواية تُظهِر بوضوح كيفية تداخل العادات والتقاليد مع الحياة اليومية للشخوص ، مُبرزة تأثير هذه الأنساق على القرارات المصيرية والأفعال، من خلال لغة سردية غنية وتصوير دقيق لتفاصيل الحياة.فـ"القاسمي" نجح في إبراز التحديات التي تواجه الأفراد في محاولتهم للحفاظ على هويتهم الثقافية بينما يواكبون الحداثة والتغيرات.
- ✓ "تغريبة القافر" تُعد نموذجا غنيا لمقاربة الأنساق الثقافية التي تُوضح تداخلات الهوية والتراث والعادات في المجتمع العربي، وتعكس تجسيدا حقيقيا لتفاصيل الحياة اليومية والموروث الثقافي الذّي يُحدد معالم الشخصيات والأحداث
- ✓ تُبرز الرواية أهمية فهم الأنساق الثقافية كوسيلة لتعميق الوعي بالهوية الثقافية ومواجهة التحديات والتحولات المعاصرة، فهي ليست مجرد قصة، بل هي نافذة على تفاصيل وتعقيدات الحياة الثقافية في المجتمع العربي عامة والمجتمع العماني خاصة.
- ✓ وظف "زهران القاسمي" ثنائية الموت والحياة بشكل معقد وعميق ليعكس التناقضات الازدواجيات التي تسكن التربة الإنسانية.فنجد أنَّ الحياة في روايتنا تمثل رحلة مليئة بالتحديات والآمال، حيث يكافح القافر لباء مستقبله وتحقيق طموحاته مواجها العقبات والصعاب، أما من جهة أخرى نجد أنَّ للموت حضور دائم وواقع حتمي تواجهه جميع الشخصيات، مما يضفي بعدا فلسفيا وتأمليا حول فناء الإنسان ومعنى وجوده.

- ✓ تتجلى ثنائية الموت والحياة في تفاصيل السرد وأحداث الرواية، حيث نلاحظ تداخل مشاهد الفرح والحزن، الأمل واليأس، في نسق سردي يعكس تعقيدات الواقع الإنساني. فتوظيف هذه الثنائية ليس مجرد عنصر جمالي فحسب، بل هو جوهر يعكس فلسفة الرواية.
- ✓ استخدم الكاتب الموت كوسيلة لتسليط الضوء على الطبيعة الفانية للحياة البشرية، بينما وظف الحياة كميدان لتحقيق الخلود من خلال الأفعال والذكريات.كما استخدمه كرمز لإعادة الولادة والتجدد، حيث تُعبر الأحداث عن التحولات والتغيرات التي يمر بها الإنسان.
- ✓ تعزز هذه الثنائية من الطابع السحري والواقعي للرواية، مما يضفي عليها جوا من الغموض والجاذبية.
- ✓ تسعى رواية"تغريبة القافر" إلى تقديم رؤية شاملة ومعمقة حول معنى الحياة والموت ، وكيفية تعايش الإنسان مع هذه الحقائق الوجودية في سياق أدبي مليء بالرمزية والجمال.
- ✓ بلعب الماء دورا مركزيا يعكس الأبعاد المختلفة للرواية، يستخدم الكاتب الماء كرمز للخصوبة والنماء، وكذلك بصفته عنصرا تطهيري يعيد بناء الشخصيات والمجتمع، من خلال تصويره للماء كعنصر متجدد وقوة قادرة على تغيير حياة الأفراد، فالماء في هذه الرواية ليس فقط مورداً طبيعياً بل هو تصوير للحياة بكل تناقضاتها وجمالياتها.
- ✓ إنَّ توظيف الماء في الرواية يتجاوز الوظيفة السردية ليصبح عنصرا روحيا وفلسفيا يُعمق من فهم المتلقي للعلاقة بين الطبيعة والإنسان.
- ✓ يعكس الماء التوازن الدقيق بين الموت والحياة، ويُدَّعم من رمزية البحث في الذات والتحولات الداخلية، فمن خلال رمزية الماء يُقدم الكاتب رسالة عميقة حول استمرارية الحياة وقوة الإرادة البشرية في مواجهة المصاعب والتغيرات.
- ✓ يساهم الماء في اكتساب الرواية بُعدا واقعيا من خلال توظيفه كمصدر للصراع والتحدي، سواءً من خلال فيضان الماء أو ندرته أو حتى صعوبة الوصول إليه، فهذه

الصراعات تعكس مدى أهمية الماء في الحياة وكيف يمكن لنقصه أن يخلق توترات ومشاكل كبيرة. هذا البعد يعكس الواقع البيئي والاجتماعي في المجتمع العماني.

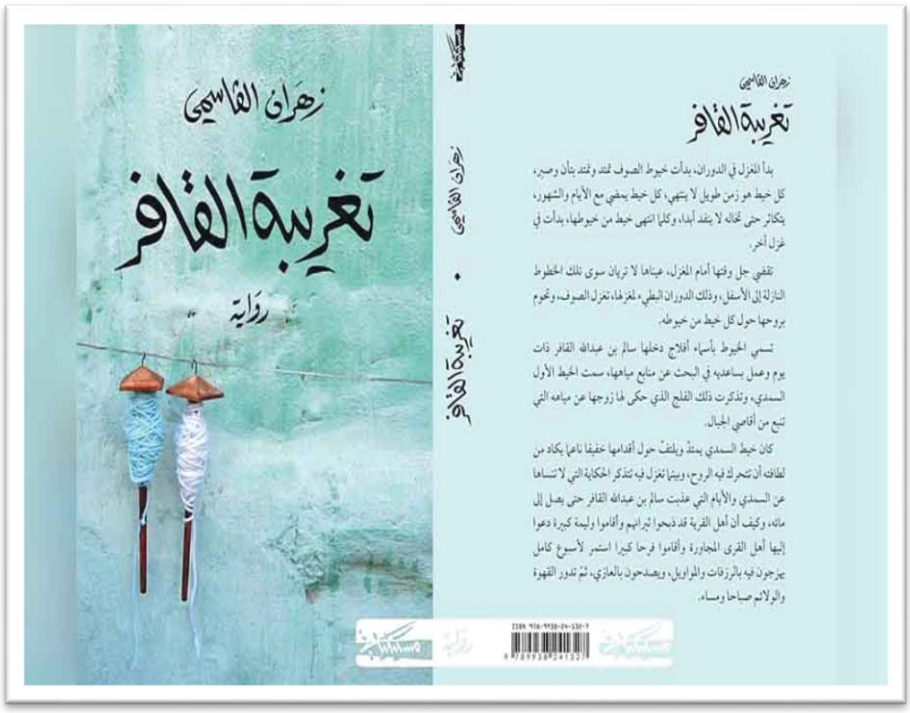
- ✓ نجح "القاسمي" في نسج قصة غنية بالتأملات و المعاني الفلسفية بتوظيفه الرمزي المتعدد للماء، فالماء هو تجسيد للعديد من القضايا الإنسانية والكونية، من خلال هذا التوظيف الذكي يُقدم الكاتب رسالة قوية حول أهمية الماء في حياتنا وكيفية تأثيره على وجودنا بطرق تتجاوز المادي إلى الروحي والفلسفي.
- ✓ من بين أهم المواضيع التي ركز عليها "القاسمي" في روايته هو موضوع المرأة والحب ، يلعب هذين العنصرين دورا فعالا في بناء السرد وتطوير الشخصيات، مما يعكس تعقيدات العلاقات الإنسانية ودورها في حياة الأبطال.
- ✓ يتم تصوير المرأة في الرواية كرمز للقوة والنضال والتضحية والأمومة، تقدم الدعم للشخصيات الرئيسة، كما يمكن أن تكون مصدر إلهام وتحفيز لها.فالمرأة في هذه الرواية ليست مجرد شخصية ثانوية فقط، بل هي جزء أساسي يؤثر في مسار الأحداث.
- ✓ وظف الكاتب الحب كقوة دافعة للتحول والتغيير من خلال العلاقات العاطفية التي تجمع الشخصيات، وكرمز يعكس الأمل والتجديد، حيث يمنح الشخصيات القدرة على مواجهة التحديات.
- ✓ تعكس الرواية تعقيدات العلاقات الإنسانية من خلال الحب والزواج والصداقة، كما تسلط الضوء على التوترات والتحديات التي تواجهها الشخصيات في علاقاتها المختلفة ، مما يضفي واقعية وعمقا على السرد، وهذا ما يجعل من المرأة والحب عناصر حيوية تساعد في تطوير الحبكة وبناء الشخصيات بشكل متكامل.

وفي الختام نرغب في أن نُنوه إلى أنَّ هذه الدراسة مازالت في حاجة إلى المزيد من البحث والاطلاع والدرس، فنحن مهما استرسلنا في ذلك لن نصل إلى مرحلة الاكتفاء فيه ، لأنه موضوع شديد الاتساع ويبقى مفتوحا على الدراسات المتعددة، لكننا نأمل أننا وُفقنا

ولو بالقليل في إنجازه، راجين من المولى عزَّ وجلَّ أن يستفيد منه في المستقبل القادم من يبحث عن ضالته في هذا المجال الواسع.

الملاحق

ملخص الرواية :



شكل01: غلاف رواية تغريبة القافر

"تغريبة القافر"هي رواية مائية اجتماعية تجمع بين ثلاثة عناصرأساسية هي:الواقعية والتاريخية والأسطورة.فهي تصور قرية "المسفاة" في زمن قديم.تبدأ الرواية بمشهد اكتشاف وجود غريقة في البئر،وبعد انتشال الجثة والشروع في تغسيلها وتكفينها ،اكتشفت النساء أنها حبلى وعلى مقربة من الولادة .فتضاربت الآراء بين الناس وساد الهرج على مؤيد لوجوب دفن الجنين مع أمه ومعارض لذلك.لكن كان لأحد العجائز رأي آخر فنشلت سكينا من أحد الحاضرين وشقت بطنها وأخرجت الطفل .

"مريم بنت حمد ود غانم"زوجة"عبد الله بن جُميل"غريقة البئر، كانت تسكن رفقة زوجها على التل الجبلي لضاحية"القعتة" ،لقب زوجها بالبيدار لأنه كان يعمل في الضواحي ويسقي النخيل ويعتني بالمزروعات مقابل الثمار أو المال. اعتراها صداع حاد

قبل حملها بأشهر ولازمها أثناءه وكان يراودها حلم مزعج كل ليلة عن يدين ضخمتين يضربان بمطرقة كبيرة في صخرة صماء،فتفيق من نومها ورأسها يكاد يتهشم من الصداع،جربت جميع أنواع المسكنات والأدوية والطرق العلاجية الممكنة إلى أن اكتشفت أن حلها الوحيد إدخال رأسها في حوض الماء جانب البئر،ومع تأزم حالتها أصبحت تهلوس بأصوات تناديها من أعماق البئر فاستسلمت لها وامتثلت للبئر وسقطت في هوتها العميقة.

بعد دفن الميتة تكفلت "كاذية بنت غانم"برعاية الطفل وقد سمته سـالم،كما تكفلت آسيا بنت محمد" بإرضاعه،ولم تتم تسمية الطفل حتى أفاق والده من الصدمة.وقد شهدت القرية أمطارا وسيولا غزيرة لدرجة تدميرها للقرية .

زالت جميع معالم القرية بسبب السيول والوفرة ،فاضطر الأهالي لإعادة بنائها،أما سالم فقد بدأ يتصرف بغرابة إذ أنه أصبح يسمع أصواتا مختلفة لا يستطيع البشر سماعها.

ومع مرور الأيام أصبحت تصرفات سالم الغريبة تجذب انتباه الناس ،فحاولت كاذية إخفاء الأمر قدر المستطاع خوفا من الناس عليه،فباءت جميع محاولاتها بالفشل وقد انتشر الخبر في القرية وتعرض سالم للعديد من المضايقات من الأهالي،أما والده فلم يُعر الأمر اهتماما،فكان ملاذه الوحيد لحالته المأساوية هو ابتسامة الفتاة ذات الشعر المجعد.

وبعد 15سنة من الأمطار أمسكت السماء دموعها وبلعت الأرض مياهها،وعاش الأهالي قحطا شديدا لذلك حاولوا إيجاد حل لمعضلتهم المتمثل في حفر الأفلاج،لكنهم فشلوا في ذلك لاندثار معالمها..وبعد محاولات سالم العديدة في إخبارهم مكان الحفر اقتنعوا أخيرا واندهشوا من صحة كلامه فصاروا ينادونه القافر لأنه يقتفي أثر الماء ،وشاع صيطه بين القرى المجاورة ،وأصبحوا يقصدونه لحل مشكلة الجفاف

عندهم،فاتخذها بذلك مهنة له ولوالده.يحتوي هذا الجزء على بعدين بعد اجتماعي وآخر تراثي.

وعند ذهابه لقرية المسيلة" بغية العمل صادف الفتاة نفسها التي التقاها في طفولته فأعجب بها وتزوجها ،وفي صبيحة يوم زواجه مات والده عالقا تحت أنقاض الفلج,وبسبب ذلك غادر القرية رفقة زوجته واعتزل الناس والعمل،ونتيجة لذلك لم يعد يسمع الأصوات كما كان سابقا,وبعد العديد من المحاولات عاد إليه الشغف،واختار جبلا متحججا بسماعه صوت الماء فيه،وهو السبب الرئيسي الذي جعله محط اهتمام الناس من جديد،فاتهموه بالجنون ،لكنه ومع الضغط الذي تلقاه من زوجته والأهالي واصل عمله،إلى أن قصده أحد الرجال ليعرض عليه عملا ،فوافق القافر شريطة كتابة عقد يحفظ جميع حقوقه وزوجته في حالة حياته أو موته، وأثناء عمله سقط عالقا داخل الفلج.

السيرة الذاتية للكاتب :



"زهران القاسمي" ولد في ولاية دماء والطائيين في سلطنة عُمان عام 1974, و هو شاعر و روائي ، من أهم إصداراته رواية (القناص) الحاصلة على جائزة الإبداع الثقافي من الجمعية العمانية للكتاب والأدباء عام 2015. و في الشعر (أغني وأمشي،أمسكنا الوعل من قرونه، أوصدت عليك الباب وبقيت سجينا في الخارج، مراكب ورقية،موسيقى) و رواية تغريبة القافر التي حصلت على جائزة البوكر عام 2023 في طبعتها 16.

الحوار :

-أهلا وسهلا أستاذ "زهران" كيف حالك ؟ رمضان مبارك و كل عام و أنت بخير، طبعا نحن سعيدين جدا بقبولك طلبنا و إعطائنا القليل من وقتك ، من أجل إجراء هذا الحوار و إن شاء الله يكون الحوار خفيف.

أولا ألف مبروك على جائزة البوكر "البوكر" بروايتك تغريبة القافر، كأول روائي عماني يفوز بها ما هو شعورك ؟

-و الله يعني لم أكن متوقع حقيقة كان الوضع مرتبك فرحة مع قلق.

2-طبعا لا يمكن الإنكار أن "تغريبة القافر" رواية فريدة من نوعها استطاعت إعادة الرواية العمانية إلى الساحة الأدبية. هل يمكن لزهران القاسمي أن يعرف نفسه للقارئ الجزائري ؟

-كيف أقدم نفسي ، شاعر و روائي، من عمان ، أملك العديد من الإصدارات معظمها شعر ، 4 روايات منشورة و الخامسة في الطريق ،و 10 دواوين شعر، مجموعتين قصصيتين، و رب أسرة، أعمل في وزارة الصحة، هذه هي المعلومات العامة التي يمكن أن أعرف بها نفسي .

3- طبعا ، يعرف الكثير من المثقفين الشاعر زهران القاسمي ، هل يمكن أن نعرف أهمية التجربة الشعرية، و مساهمتها في تشكيل زهران القاسمي الروائي ؟ و هل كان للشعر تأثير على الكتابة الروائية في رواية تغريبة القافر؟

-طبعا ، أن مالا شك في أن التجربة الشعرية لها تأثير كبير جدا على الأقل عن لم يكن لغويا فيعني(...) لخلق عوالم مختلفة تماما عن عالم السرد، العوالم الخيالية الأقرب من اللاواقعية ، يتداخل فيها الخيالي والواقعي و السحري ، و غير ذلك هذا من ناحية ، من

ناحية أخرى يتمتع الشعر بقوة اللغة التي تحسن النص السردي و ترفع من أداءه إلى الأعلى، خصوصا أن في الكثير من المقاطع في الأعمال الروائية التي أكتبها هي مقاطع شعرية لا تحيد عن درب القصة أو الحكاية في النص.

4- وصف بعض النقاد رواية "تغريبة القافر" بأنها ملحمة القرية ، ما هو تعليقك؟

-هو بحكم أنها تدور أحداثها في قرية ، و يعني بطبيعة الحال القرى عندنا محدودة السكان و أيضا محدودة الأطراف و دائما مشاكلها أقل عن مشاكل المدن، لكن هي الفكرة أن البيئة أو الاستثمار في وصف البيئة القروية في الكتابة السردية هي التي يعني أظهرت هذه الخاصية في موضوع القرية، هناك كتاب كثر على المستوى العربي الذين كتبوا على القرى، أيضا ربما لم تكن الملامح ، ملامح القرية ظاهرة تفصيليا مثلا كما هو موجود في رواية تغريبة القافر أو روايات أخرى.

- و هل كان لقريتكم نصيب من نجاح هذا العمل الفريد؟

-يعني ، الذي يأتي إلى عمان يجد أن القرى الجبلية تتشابه كثيرا، ليس شرط أن تكون أُخذت من قريتي، أخذت بعض التفاصيل طبعا من القرية، و استفدت منها

و أيضا يعني عندي إلمام بالقرى المجاورة، و القرى الجبلية المتناثرة كثيرا في عمان

، تفاصيلها الجبلية بالأشجار بالمزروعات ، بساتينها، الوديان أيضا بالأفلاج لأني اشتغل في الرواية على النظام المائي الذي هو الأفلاج فعندي دراية كبيرة جدا في هذه التفاصيل خصوصا، ليست القرى العمانية أجمع، و لكن القرى الجبلية أيضا بالأخص.

*** يعني هي قرية غير حقيقية ؟**

-نعم ، بالفعل.

5- نحن نقدم دراسة بخصوص الأنساق الثقافية المضمرة في روايتكم ، هل يمكن أن تفصحوا ببعض ما تعلق بالنص الروائي و علاقته بكم و بواقعكم؟

-يعني ، هو في شيء من الواقع بالنسبة لي مازلت أعيش في قرية ، اشتغلت في الطفولة أيضا كفلاح ، في البساتين مع والدي، و نزلت إلى عمق الأفلاج، و نظفت مع الناس مع أهل القرية الأفلاج من الأتربة و التكدسات و غيرها و صار عندي إلمام ببيئة الفلج من الداخل، هذا أعطاني أيضا الكثير من المعلومات حين بدأت في كتابة الرواية، كان من السهل جدا في بعض الأشياء التي تحتاج إلى وصف لأني عشت الكثير من هذه التفاصيل في حياتي .

6- كيف كان شعورك عند نزولك للأفلاج؟

-و الله ، كان أول شعور هو شعور الدهشة ، لأني كنت طفل في عمر 12أو 13 سنة و يعني لا بد أن يتدلى لواحد منا على حبل من فوق، من أعلى البئر و ينزل إلى قاع القناة، و القناة تكون عادة تحت الأرض على مسافات تبلغ من 25 إلى 30 متر تحت سطح الأرض ، و القناة من الداخل مظلمة ، لأنها تحت الأرض فالضوء الذي يأتي ،يأتي فقط من الفتحة التي ننزل منها ، و يعني كانت الدهشة بتفاصيل الفلج ، كيف حفر، كيف تم حفره بهذه الأدوات البسيطة جدا بدائية سابقا لم تكن هناك معدات متوفرة

مع القرويين غير المطارق البسيطة و المسامير الحديد التي كانوا يحفرون بها في الحجر حتى يقطعون شوطا كبيرا من المسافات بحثا عن الماء ، فعلا كانت مدهشة ،و لم تكن حتى في خط مستقيم أحيانا تكون متعرجة و أحيانا تكون ضيقة في أماكن معينة تكون واسعة أيضا و في بعض الأماكن يحتاج الواحد منا أن يحبوا على بطنه حتى يمر في داخل القناة ، فيعني فيها تفاصيل كثيرة جدا كانت مدهشة بالنسبة لي.

7-حدثنا عن دلالة الماء في رواية تغريبة القافر؟

-الماء يأخد دلالات كثيرة جدا، منها أنه نحن كبرنا على أن الماء سر هذه الحياة

، نحن تعلمنا دينيا أن و جعلنا من الماء كل شيء حي، و هو أساس الحياة و غير ذلك، لكن أيضا ماذا لو كان الماء قاتلا هو يتحول من حياة إلى قاتل، في فترة يعني في وفرته أحيانا عندما تصير السيول الكبيرة و تجرف معها الحيوانات و البشر،و غير ذلك مثل ما حدث في تسونامي و في كثير من الأعاصير حت المثال الأخير الذي حدث عندما انفجر السد في ليبيا و مر على مدينة كاملة دمرها هي و سكانها، يعني هنا فكرة أن الماء يتحول إلى قاتل و أيضا في ندرته عندما تشعر الكائنات بالعطش عدم وجود الماء هنا أيضا يتحول بصورة أخرى يتحول لأنه هو الأساس في وجود هذه الكائنات على الأرض هذه واحدة من الدالات. الدلالة الأخرى أن الماء هو طاقة من الطاقات التي يستفيد منها الإنسان على وجه الأرض مثل طاقة الرياح، طاقة الشمس، الضوء و الماء وغير ذلك، كثير من الطاقات المجودة التي يعني استخدمها الإنسان بدون أن يشعر بالإهدار أحيانا ماذا لو أن هذه الطاقات انتهت أو جفت مثل طاقة النفط هي طاقة طبيعية ماذا لو أنها يعني انتهت أو جفت خصوصا أن دول الخليج مثلا قائمة اقتصاديا كلها على موارد النفط ماذا لو جف هذا المورد ماذا سيحدث، سيحدث مثلما حدث في القرية التي جف فيها الماء و بدأوا يبحثون على الماء ماتت الأشجار، ماتت الحيوانات وغير ذلك .

-ما علاقة الماء كحاجة بشرية بالتركيبة الاجتماعية العمانية؟

-القرية العمانية طبعا هي معتمدة اعتماد كبير جدا على الأفلاج بحكم أن نظام مائي يروي البساتين و أيضا هو نظام اجتماعي، ليس فقط لري البساتين و لكن يوجد طبقية كبيرة جدا،عن التراتبية و ليست طبقية بمعنى أن الفلج أو قناة الماء هذه لا بد أن تمر على المساجد الموجودة في القرية، أيضا لا بد أن تمر هذه القناة على بيت الشيخ وتكون

في داخله تمر على داخل البيت، و أيضا هناك أماكن محددة في هذه القنوات، أماكن تسمى المخاضات التي يسبح أو يستحم فيها الرجال، فيها أماكن أيضا تستحم فيها النساء لها خصوصيات، أيضا توجد أماكن تأخذ منها كميات للشرب، لا يجوز في هذه الأماكن أو بعد هذه الأماكن أن يستحم الإنسان أو يغتسل في الفلج حتى لا يلوثه، فهو نظام كبير جدا و معقد دخلت فيه الكثير من القوانين و العادات و التقاليد و غيرها.

- هل يمكن أن تفصل بين الماضي و الحاضر؟

-طبعا الماضي هو كل ما قلته سابقا، و لكن الحاضر طبعا بعد أن دخلت التكنولوجيا، و تقنيات الحديثة في الحفر و غيرها أصبح الناس لا يعتمدون كثيرا على مياه الأفلاج ، أصبحت مياه الأفلاج فقط لري البساتين، و إنما ليس للشرب ليست للاستحمام، حفرت الكثير من الآبار و أصبح يوجد توزيع للمياه و في كل المنازل كان سابقا مثلا النساء عندما يحتجن مياه للبيت يذهبن بأوانيهن لأخذ المياه من الأفلاج إلى بيوتهن للطهي و للشرب و غير ذلك. الآن لا،خزانات موجودة في البيوت الأنابيب ممدة على مدار الساعة يعني اختلفت الكثير من التفاصيل طبعا.

8- حدثنا قليلا عن تجربتك مع جائزة البوكر؟

طبعا هي جائزة البوكر هي أول مرة أنا شاركت فيها كان باقتراح من دار النشر، عندما أعطيتهم المسودة، مسودة الرواية، و بدأو في قراءتها و تحريرها، أخبرني الناشر أنه يود مني أن أوافق لأشارك بها في جائزة البوكر، فأنا قلت له ليس لدي أي مانع،طبعا و شاركت بها و لم أكن متوقع لها الكثير من التوقع، ربما لأنني لأول مرة أشارك في جائزة مثل هذه الجوائز، عندما حتى ظهرت القائمة الطويلة دهشت، و يعني انهالت علي الكثير من الرسائل على الواتس آب للتهنئة و التبركات و أنا قلت هكذا وصلت لمرحلة أو منطقة يكفي أنها وصلت إلى القائمة الطويلة، و تفاجئت أيضا من وجودها في القائمة

القصيرة لكن لم أتوقع حقيقة كانت يعني لم تكن أيضا في أولوياتي، هي كانت تجربة ،و التجربة هذه لم تكن من ناحيتي لكن كانت اقتراح من النشر أن أشارك، ففازت كان حظها في الفوز.

9- كيف جاءتك فكرة الرواية؟

- الرواية، نحن مرتبطين كثيرا بالماء، كما في عمان خصوصا في القرى أن جزء كبير جدا من هذه القرى هي قرى جبلية تعتمد اعتمادا كبير جدا على الأمطار و لدي مزرعة في القرية، مزرعة صغيرة فيها عين ماء، يعني يخرج من قمة الجبل عين ضئيلة جدا ، ففي يوم من الأيام و أنا أنظف مجرى العين أقول لماذا لو ان يوجد شخص يستطيع سماع خرير الماء في باطن الأرض، هنا في هذه المنطقة حتى يدلني أين موقع الماء أو خزان الماء تحت الأرض و أحفر في مكانه و أستخرج المياه، من هنا انطلقت فكرة الرواية و ثم بدأت في التجميع لها طبعا المعلومات الخاصة بالأفلاج و هندسة الأفلاج و غيرها و بدأت في كتابتها.

10- و أي شخصية أحببت أكثر و أثرت فيك؟

-كل شخصية لها خصوصيتها داخل الرواية، مثلا كاذية المرأة القوية لتي يعني كافحت وصارعت،الوعري أيضا ذلك الإنسان معتزل البشر مكتفي بحاله، أيضا له خصوصية كبيرة جدا و أحب شخصيته، و سالم طبعا هذا المجنون المهووس بكل هذا الضجيج الذي يدور في رأسه و آسيا طبعا، و نصرا هذه الإنسانة العظيمة التي بدأت في انتظر زوجها و الغزل طوال كل هذه السنوات. الجميع ككل أنا متضامن و أحب كل الشخصيات ليس لدي حب لشخصية أكثر من الأخرى.

11- لماذا بدأت الرواية بغرق؟

-كانت الفكرة أن الشخصية هذه مرتبطة ارتباطا كبير جدا بالماء،منذ ولادتها بمعنى أن هي الشخصية أخرجت من بطن أمها الغريقة يعني سالم حين كان جنين و كان أساسا منتشل ، انتشلت أمه غريقة فهو مرتبط مباشرة بالماء، و مرتبط بالغرق، حتى الأب أيضا لكن حتى تكون لديه هذه الخاصية التي ربطتها، هذه الخاصية أنه يسمع خرير الماء في باطن الأرض، لا بد أن تكون هناك انطباق واقعي أيضا و ميتافيزيقي في الموضوع مع الماء .

و في الأخير نود أن نعبر عن امتنانا الكبير لكم على تخصيص بعض من وقتكم على لقائنا فقد كانت تجربة رائعة و قيمة بالنسبة لنا و فريدة من نوعها ، و بالتوفيق في أعمالك القادمة .

صور توضح المنظومة المائية في عمان "الأفلاج":



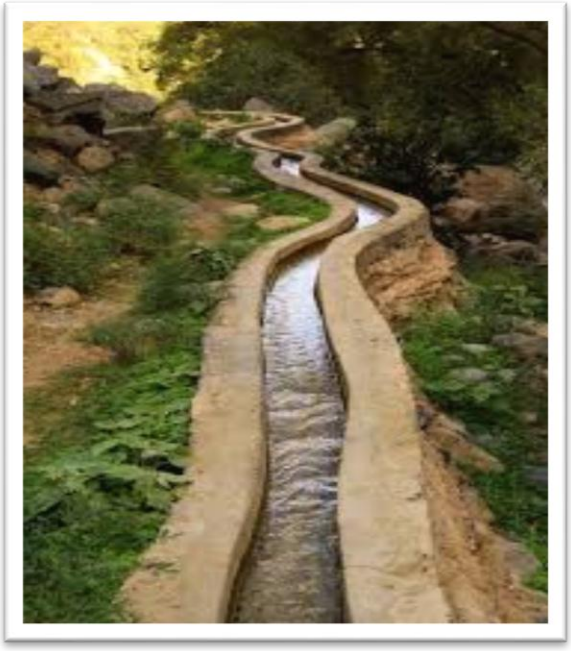
شكل02



شكل 03



شكل04



شكل 05

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر:

زهران القاسمي ، تغريبة القافر

المراجع:

أولا–المعاجم:

1. ابن دريد محمد بن محمد الحسن أبو بكر:جمهرة اللغة،مادة(م ط ر)،تر:رمزي منير بلعبكي،دار العلم للملايين،ط1،بيروت،لبنان،1987م.
2. ابن منظور:لسان العرب،المجلد06،تح:عبد الله الكبير،محمد أحمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي،دار المعارف،القاهرة،مصر.
3. أبو الفارس أحمد بن زكريا كمعجم مقاييس اللغة،تح:عبد السلام هارون،دار إحياء الكتب،
4. الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، باب التاء ، فعل الميم، مات.
5. المرتضى الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس،دارالمعلمين،القاهرة ،مصرن1994م.
6. مصطفى إبراهيم ،أحمد حسين وآخرون:المعجم الوسيط،حرف الحاء(الحياة)،ط2،القاهرة،مصر،1392هـ.

ثانيا– مراجع باللغة العربية:

1. أحمد أنور ، النظرية و المنهج في علم الاجتماع ، منشورات جامعة عين شمس ، لقاهرة ، مصر ، 2002م..

2. أحمد يوسف عبد الفتاح:لسانيا الخطاب وأنساق الثقافة،منشورات الاختلاف،دارالعربية للعلوم،ط1،الجزائر –بيروت،2010.
3. إدوارد خراط ، الحساسية الجديدة_مقلات في الظاهرة القصصية ،دار الآداب، بيروت، لبنان ،1993.
4. حفناوي بلعلي:مدخل في نظرية انقد المقارن،الدار العربية للعلوم،منشورات دار الاختلاف،ط2007،1،الجزائر.
5. سامية إدريس:تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية–دراسة في علم اجتماع النص الأدبي ،منشورات ضفاف،منشورات الاختلاف،ط، 2015،1.
6. سمير الخليل:دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي،إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة،مراجعة و تعليق:سمير الشيخ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1971.
7. سمير سعيد حجازي:النقد العربي و أوهام رواد الحداثة , مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع ,ط1,القاهرة , مصر ,2005.
8. شجاع العاني: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1994م. الأصفهاني،أبو القاسم،الحسين بن محمد الراغب:المفردات في غريب القرآن،تحقيق وضبط:محمد سيد الكيلاني،طبعة مسجد الأدهمي،القدس،فلسطين
9. شكري عزيز ماضي:انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،بيروت،لبنان،1978.
10. الصادق قسومة :نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي،دار الجنوب للنشر ،ط1، تونس.

11. عبد الحميد سلامة،قضايا الماء عند العرب قديما،دار الغرب الإسلامي،ط2004،1م.
12. عبد الرحمان بدوي،موسوعة الفلسفة،ج1،المؤسسة العربية للطباعة والنشر،ط1،بيروت،لبنان،1984م.
13. عبد الرحمان بن ناصر السعدي ،تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، دار الذخائر نشر و توزيع مؤسسة الريان ،بيروت،لبنان،2001م.
14. عبد الله الغذامي:الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية –قراءة نقدية لنموذج معاصر،ط4،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997.
15. عبد الله الغذامي:النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ط3،المركز الثقافي العربي،المملكة المغربية ،الدار البيضاء،لبنان بيروت.
16. عبد المالك أشهبون :الرواية العربية من التأسيس إلى آفاق النص المفتوح،مطبعة آنفوبرانت،فاس ،المغرب.
17. عبد المالك أشهبون:الحساسية الجديدة في الرواية العربية–روايات إدوارد خراط نموذجا،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف،دار الأمان،ط1،الرباط،المغرب،2010.
18. عبد المنعم الحنفي،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،ط3، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر،2000.
19. فتحي البس:الفلسفة والثقافة والسياسة–كتابات مختارة، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط1،عمان،الأردن،2017.
20. الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين.
21. الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج

22. محمد برادة:الرواية العربية ورهان التجديد،كتاب دبي الثقافية،يوزع مجانا مع المجلة،الإصدار 49،دار الصدى،ط1،مايو 2011.

23. محمد سعيد رمضان البوطي:كبرى اليقينيات الكونيةوجودالخالق ووظيفة المخلوق،دار الفكر المعاصر ،ط8،بيروت،لبنان،1982م.

24. محمد عبد الرحيم الزيني،حقيقة الموت بين الفلسفة والدين، دار اليقين للنشر والتوزيع،ط1،مصر ،2011م.

25. محمد عبد العظيم،الموت كيف نفهمه ونعمل له ،دار الصحابة،طنطا،ط1993،1م.

26. محمد فنطازي:التناص،مطبعة بن سالم،ط1،الأغواط،الجزائر ،م2010

27. مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة ،القاهرة ، مصر ،2007م.

28. مصطفى الصافي الجويني:في الأدب العالمي ،القصة ،الرواية و السيرة ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،مصر،2002م.

29. مقاتل بن سليمان البلخي:الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تح: محمود شحاتة،د . ت،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

30. نبيل رمزي، سوسيولوجيا المعرفة ،جدل الوعي و الوجود الاجتماعي ، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية ، مصر ،م2001.

31. ينظر: عزيزة مريدن: القصة و الرواية ، دار الفكر ، دمشق،سوريا ، الجزائر ،1980م.

ثالثا–مراجع المترجمة:

1. فيليب سيرنج،الرموز في الفن والأديان والحياة،تر:عبد الهادي عباس،دار دمشق،ط2005،2م.

2. آرنولد توينبي وآخرون،الإنسان وهموم الموتتر:عزت شعلان،المركز القومي للترجمة،ط1،القاهرة،مصر،2011م.

3. جاك شورن، الموت في الفكر الغربي،تر:كامل يوسف حسين ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت،1984م.
4. جورج غورفيش وآخرون ،الإيديولوجيا، دفاتر الفلسفة ،تر:محمد بسيلا و عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقا،ط1، المغرب .
5. الرواية المغربية، تر:محمد برادة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب،1972م.
6. عبد الكريم الخطيبي : محمد عارف:الحضارة ،الثقافة،المدنية،دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،عمان،ط1994،2م.
7. عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، تر:محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت، لبنان ، 1970م.
8. فرديناند دي سوسير:محاضرات في علم اللسان العام،تر:عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق،المغرب،2008م.
9. كارل منهام: الإيديولوجيا و اليوتوبيا ، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ،تر محمد رجا عبد الرحمان الديريني، جامعة الكويت، كلية الآداب و اللغات، شركة المكتبات الكويتية،ط1، 1980.
10. لالاند أندريه:موسوعة لالاند الفلسفية،مج1،تعريب:خليل أحمد خليل،منشورات عويدات،ط1،بيروت،لبنان،2001م.
11. مجموعة من المؤلفين: إيديولوجيا السياسة، تر : عباس عباس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ،2009م.

رابعا–مراجع باللغة الإنجليزية:

1. . Jhon Daintith ,Elizabeth A martin,A dectionary of science,owford university press,new york,2010.

2. Hofstede,Geert&Gert Jan Hofstede,Cultureséorganizations:software of the mind,Mc Graw-Hill,Inc ,New York,2005.
3. Spradley James,Culture and CONGNATION.Chandle Publishing Company ,USA .1973 .

خامسا-المجلات والرسائل الأكاديمية:

1. إبراهيم بن عرفة و جمال معتوق:الماء بين المقدس والطقوس الممارسة. دراسة مونوغرافية في منطقة بئر الذهب تبسة،مجلة أنثروبولوجيا،العدد5،جامعة البليدة2،الجزائر.
2. أحمد راشد إبراهيم راشد:مركزية النسق الثقافي في مشروع الغذامي النقدي بين النظرية والتطبيق،مجلة بحوث كلية الآداب،كلية دار العلوم،جامعة المنيا.
3. إسماعيل صديق عثمان،فلسفة وحقيقة الموت في الأديان دراسة مقارنة، المجلة الليبية العالمية،العدد 20،17أبريل 2017م،كلية التربية المرج،جامعة بنغازي، ليبيا.
4. أمال عربيد:الأساطير والطقوس المتشابهة في الحضارات البانة مشوح ،الماء في ثقافة الشعوب ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد59، الجزء 2.
5. آية الكحلاني ،رواية البوكر "تغريبة القافر" تغريبة الذات أم تغريبة الجسد،نقد نقد.
6. بابا عربي عديلة، مشكلة الموت في فكر ألبير كامو ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص فلسفة عامة ،كلية العلوم الانسانيو و الاجتماعية ،جامعة قاصدي، ورقلة ،2019-2020م.
7. بن زايد مختار،عقال فاطمة الزهراء:النسق المضمر طعن الجمال لإراقة القبح،مجلة قراءات،المجلد14،العدد01ن جامعة يحيى فارس-المدية،2023م.
8. ثروت حسين سالم ، سلسلة من أعلام المدرسة الطبيعية تأملات في فلسفة طاليس ، مجلة الدراية، كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين بدسوق في جامعة الأزهر الشريف،ص 11لقديمة والأديان،مجلة سطور،العدد5،يناير 2017م.

9. جزولي، احزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم . دراسة موضوعية،دار طويق للنشر والتوزيع،ط1،الرياض، السعودية،1418هـ/1997م.
10. جيهان نور الدين محمد المقدم، الجانب الأخلاقي عند أفلاطون (عرض و تحليل) ، حولية كلية الدراسات الاسلامية و العربية للبنات، العدد8، جامعة الأزهر ،2018م.
11. حميد بن سيف النوفلي، أفلاج عمان حضارة مستدامة ،الجمعية العمانية للكتاب و الأدباء.
12. د.عبد الله الغافري ، الأفلاج العمانية: منظومة حياة مهددة ، كلية الزراعة و العلوم البحرية ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.
13. رزيق رابح ،بن عومر رزقي ، في مفهوم الوجود وتطبيقاته في فلسفة صدر الدين الشيرازي، مجلة الباحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية ، العدد 35، جامعة محمد بن أحمد ،وهران2 ،2018م.
14. زهرة الثابت، رمزيتا الماء و النار في الأساطير و الأديان ،مجلة نقد و تنوير،العدد الثامن،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، القيروان، تونس، 2021م.
15. زينة علي جاسم محمد ، مفهوم الوجود و دلالاته في الفكر الفلسفي ،مجلة كلية الفقه ،العدد30،جامعة الكوفه ،2019م.
16. سالم سليليح:النسق المضمر وفعالية التأويلية في نظرية النقد الثقافي–قراءة في تجربة الغذامي،مجلة الإبراهيمي والعلوم الإنسانية،جامعة برج بوعريريج،المجلد 2،العدد2،جوان2021م.
17. سحر كاظم:دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر،مجلة جامعة بابل ،المجلد02،العدد2014.

18. سعيد حسين العبد يوسف: الموت و الحياة دراسة موضوعية في المصطلح القرآني، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في أصول الدين ، إشراف:د خضر سوندك،كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية،نابلس ،فلسطين،2017م.

19. سميرة بنت ضيف الله أحمد الكناني الزهراني ، العجائبية في الرواية السعودية رواية أم الصبيان و المنهوبة ، مجلة الساج، 2022م.

20. شاعر عبد الحميد، ليس لهؤلاء من الموت أمل ،مجلة الثقافة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، العدد282، مارس 2014.

21. عائشة بومهراز:نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص الإبداعي،مجلة الناص،العدد9،كلية الآداب واللغات و العلوم الاجتماعية ،جامعة جيجل ،الجزائر،أفريل 2010م.

22. عبد الله الغافري:لأفلاج العمانية: منظومة حياة مهددة ، كلية الزراعة و العلوم البحرية ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.

23. عبير الكوكي: قراءة في رواية تغريبة القافر ثنائية الموت و الحياة ،مجلة حروف حرة ، العدد25، أفريل 2023م.

24. الكاتب العماني زهرا القاسمي:"تغريبة القافر"صوت قروي يذكر بأهمية الموارد الطبيعية– راو يبتعد عن التعقيدات اللغوية ليحكي قصصا من القرى العمانية،مجلة العرب، العدد12776،الجمعة 2023/05/19م.

25. لطيفة الحمادي:رمزية الماء في رواية تغريبة القافر لزهران القاسمي:دراسة سيميائية، مجلة أدب الرافدين،مج:54،العدد:96،جامعة الوصل،دبي، الإمارات العربية المتحدة ،1مارس2024م.

26. م . م صلاح الدين سليم حميد:لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص التنزيل . دراسة دلالية ،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ،المجلد:9، العدد:14،4/06/2010م،كلية العلوم السياسية . جامعة الموصل.

27. محمد رحماني :معنى الحياة في القرآن الكريم،مجلة إحياء،العدد الثاني،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية،جامعة باتنة، الجزائر.

28. محمد علي العوض:أساطير سليمان...من عمان إلى السودان، جريدة الرؤية ،2018.

29. محمد كنتاوي ونسرين عطية:تطور وتحول الرواية العربية من التقليد إلى الحساسية الجديدة،مجلة آفاق علمية،المجلد13،العدد30،02-04-2021،جامعة أحمد دراية،أدرار ،الجزائر.

30. محمود شكري الألوسي:الماء وما ورد في شربه من الآداب، أكاديمية المملكة المغربية، مارس1985م.

31. نوال بومعزة : السردي و الأنثوغرافي في الرواية العمانية،مجلة المرتقي،العدد1،المجلد5،جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي،الجزائر،2022م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر .....-

إهداء .....-

مقدمة.**Erreur ! Signet non défini**

مدخل تمهيدي **7**

أولا:الرواية roman.....17

ثانيا: بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية 17

ثالثا: لمحة حول الرواية العمانية 27

الفصل الأول: 28فلسفة الموت والحياة.....**28**

تمهيد.....29

أولا: ماهية الموت والحياة 30

1.الموت La mort 30

2.الحياةLa vie 32

ثانيا: دلالة الموت و الحياة في الشرائع 33

1. الموت.....33

2. الحياة 37

ثالثا: فلسفة الموت و الحياة 39

1. الموت.....39

2. الحياة 41

رابعا: ثنائية الموت و الحياة في الرواية 44

الفصل الثاني:بلاغـــة المـــاء في روايــة "تغريبــة القــافر" 54

تمهيد..... 55

أولا: ماهية الماء L'eau 56

1.الماء في اللغة 56

2.الماء في الاصطلاح 56

ثانيا: دلالة الماء في الشرائع 56

1: في اليهودية..... 56

2:في المسيحية..... 57

3: في الدين الإسلامي 58

ثالثا:رمزية الماء في الأساطير..... 61

رابعا:الماء في الفكر الفلسفي 62

خامسا: بلاغة الماء في رواية "تغريبة القافر" 62

1.البعد التضادي للماء 63

3.صور الماء في الرواية 68

الفصل الثالث :انسيابية الأيديولوجيا بين ثنايا السرد في رواية تغريبة القافر 77

تمهيد..... 78

أولا: ماهية الأيديولوجية Idéologie 79

ثانيا: انسيابية الأديولوجيا بين ثنايا السرد في الرواية 83

1. اللهجة العمانية 83
2. توظيف التراث العماني والأساطير 84
4. اللغة 93
5. السرد 94
6. الزمكانية في الرواية 96
7. البوكر 97
الفصل الرابع:جماليات التفاصيل الصغيرة 100
تمهيد 101
أولا: مركزية المرأة 102
ثانيا: رمزية الحب 106
ثالثا: التناص 112
الخاتمة 117
الملاحق 121
قائمة المصادر و المراجع: 135
فهرس المحتويات 145